فهد المارك

افتراها الصهاينة

وصدقها مغفلو العرب



اقرؤوه
و
أقرئوه

فهد المبارك

افتراها الصهاينة وصدقها مغفلو العرب

الطبعة الثالثة

١٣٨٥ ـــ ١٩٦٥

مطابع ابن زيدون بدمشق

الإهداء

الى كل عربي يعلم ان مفعول الدعاية في ايام السلم ، يقوم مقام الجيوش المحاربة في ايام الحرب •

الى من يدرك ان دعاية الافتراء والبهتان اذا اتقنها الكاذبون صدقها المغفلون • وحلت محل الحقيقة على طول المدى •

الى من يدرك هذه الظاهرة من أبناء أمتنا العربيـــة أقدم هـــذا الكتاب •

فهد المبارك

مقدمة الطبعة الثالثة

كانت الطبعة الاولى لهذا الكتاب في سنة ١٩٦٠ ، ثـم طلب مني بعض الشباب الفلسطينيين ، وقد أطلقوا على أنفسهم اسـم « جبهة تحرير فلسطين » ، أن آذن لهم باعادة طبعه ، فأذنت لهـم مرحبا بطلبهم ، فطبعوه للمرة الثانية ، ولقد نفدت الطبعتان .

هذا وقد كان الحافز الى طبعه مرة ثالثة الامور التالية :

أولا : بعد أن انتهيت من تبييض مؤلفي الجديد « كيف ننتصر على اسرائيل » وجدت من الضروري اعادة طبع هذا الكتاب بحكم اتصال بعض مواد كتابنا المذكور بهذا السفر .

ثانيا : بعد ان فاز اخواننا الجزائريون باستقلالهم بحد السيف، سمعت في جملة أفانين الدعاية التي افتراها الصهاينة عن اخواننا الفلسطينيين ، زيادة عما سبقها ، من يقول : ها هم الجزائريون كافحوا وناضلوا حتى حرروا بلادهم فلماذا لم يفعل الفلسطينيون مثل ما فعل الجزائريون ؟.. وبالنظر لما في مثل هذه الحجة مـن المغالطة والافتراء على الحقيقة والتاريخ ، فقد وجدت أن أضيف

الى الكتاب الاول بحثا مستقلا خاصا في تفنيد هـذه الحجة بالمنطق المحسوس •

ثالثا : كنت سمَّيت هذا الكتاب « قالهـا الصهاينة وصدقهـا مغفلو العرب» • وكنت أعتقد أن الدعاية الصهيونية ضد الفلسطينيين منحصرة في تضليل السذّج ومن اليهم من المغفلين والجهلة مـن أبناء العرب ، ولكنني تحققت في الآونة الاخيرة مع الاسف الشديد ان الافتراءات الصهيونية تجاوزت الـى صفوف بعض الاذكيـاء والمثقفين •

هـذه العوامل مجتمعة أو بعضها هي التي حفزتني الى اعـادة طبع هذا الكتاب ، مضيفا اليه من المادة الجديدة ما يجعله ضعف حجمه من السابق ••

والله أسأل ان يلقى هذا السفر المتواضع عند بني قومنا الأذن الواعية ، وان ينفع به ما يبين الحقائق ويجلوها واضحة نيرة ، وان يقبس منه القارىء ما يدحض المزاعم الباطلة •

والله حسبي وهو نعم الوكيل •

فهد المارك

مقدمة الطبعة الثانية

شكر وتقدير

تكرم السيد فهد المارك وسمح لنا باعادة طبع كتابه هذا وذلك خدمة للعروبة وفلسطين التي جاهد فيها بنفسه وشاهد المآسي التي حلت بأهلها على أيدي الصهاينة ، تلك الكارثة التي لم يسبق لها مثيل في هذا القرن •

واذ نشكر الاستاذ فهد المارك على تكرمه هذا فاننا نجدد العهد هنا على محو الوصمة التي حلت بأمتنا ولنا من تأييد اخواننا في جميع البلاد العربية خير حافز على متابعة النضال بالسيف والقلم حتى النصر ، والله ولي التوفيق •

١ سبتمبر ١٩٦١ — جبهة تحرير فلسطين

مقدمة الطبعة الاولى

بصفتي عربيـا رأى وشاهد الكارثـة التي حلت باخوانـا الفلسطينيين عن كثب ، وقرب مباشر ، فتألمت لما أصاب بني قومي كما تألم عشرات الملايين من العرب ، اثر تلك النكبة ، التي لـم يسبق لامتنا العربية أن أصيبت بكارثة من نوعها ، جاءت على يـد حثالة البشر ومشردي العالم .

ومما لا ريب فيه ان هذه الآلام المتبادلة ، وتلك الاحزان الجارحة لشعور وكرامة كل فرد من الامة العربية ، لم يكن أثرها في كياني ناتجا عما قام به أعداؤنا المستعمرون وصنيعتهم اسرائيل بحربهـا العلني ، وعدائها السافر واذابتها التي أصابت بها نيفاً ومليون عربي ، بين قتيل وشريـد .

أجل ان هذه الاعمال رغم شناعتها الوحشية ، لم تكن هي مصدر الاسى فحسب ، ولكن الذي أحزنني أكثر وأكثر هو ما يقوم بـه العدو من أعمال الدس بين صفوفنا ، تلك الاعمال التي لا زلنا بغفلة عنها ، بل وفي سبات عميق عن الانتباه لدسائسه التي سرت وانتشرت في كل شبر من أرض العرب ، بدون ان نعيرها أدنـى يقظة وانتبـاه .

وأقصد بذلك الدعاية الصهيونية التي شوهت سمعة بني قومنا الفلسطينيين ، تلك الدعاية الوقحة التي بذرت الصهيونية نواتهـا في صميم كل بلد عربي ، فذهبنا جميعا نرددها ، ونؤمن بصحتها القائلة : ان الفلسطينيين هم المسئولون عما حل بهم وهم الـذين أساءوا الى بلادهم بأعمالهم السيئة وهم الذين باعوا أرضهم لليهود، وهم الذين كان من أمرهم ما كان ، تلك الدعاية الصهيونية المختلقة، التي لو سألت أدنى عربي عن رأيه نحو الفلسطينيين لما جاء الجواب منه أقل من هذه العبارات التقليدية التي تلقنها دون أن يدري المصدر الذي ملأ جوفه منها ، وبغير أن يعلم الجهة التي أملت عليه هذا الايحـاء •

ولو أنت طلبت أيضا من أي شخص من الذين يتلون هـذه الدعاية ويرددونها بترتيل ، ان يقدم دليلا محسوسا ملموسا على صحة دعواه لما أجابك بشيء أكثر من قوله : انه سمع فلانا وعلانا يقول ذلك فقال ما يقال • ولو تتبعت سلسلة هذه الرواية المعنعنة من فلان وعن فلان لوجدت هذه الرواية متصلة الحلقات بصورة لا تنفصل حتى ينتهي بك المطاف الى تل أبيب والى لندن أو أمريكا الخ •••

ان ما يحتويه هذا السفر المتواضع ، ليس الا بعض الادلة التي تؤكد بوضوح اننا نسير في بحر لا ساحل له، من الدعاية الصهيونية والاستعمارية التي بثت سمومها ونشرت أوبئتها في قلب كل جزء من بـلاد العرب •

وكانت الغاية الصهيونية من وراء ذلك هي المحاولة اليائسة على

أن تنزع الرحمة والشفقة والعطف والنخوة من قلوب كافة العرب تجاه بني قومهم الفلسطينيين « ويأبى الله ذلك » •

والصهيونية اذ تفعل ذلك بنشاط مستمر وبدأب دائب لا فتور فيه ، تعتقد عن ايمان انها متى ما نجحت ببث دعايتها هذه الوقحة في صفوف الامة العربية، واستطاعت أن تقنع الشعب العربي بكرهه واحتقاره للفلسطينيين ، فانها تضمن لنفسها بان نكبتها للفلسطينيين واغتصابها لارضهم وسفكها لدمائهم وتيتيمها لاطفالهم ، كل هذه المآسي سوف ينساها العرب وتدرس مع مرور الزمن متى ما وثقوا وأيقنوا ان الفلسطينيين جنس حقير مجرم لا يستحق من يرحمه ولا من يغار عليه أو يتألم لكارثته من بني أمته ، لان كل ما أصابهم أي الفلسطينيين جاء مما كسبته أيديهم حسب الدعاية الصهيونية •

ولعمري انها لخطةجهنمية خطيرة، وخطرها لايهدد الفلسطينيين وحدهم • بل الامة العربية كافة من الغزو اليهودي العالمي •

واني لأناشد الله كل فرد من بني العروبة والاسلام ان يعير هذه الناحية جل انتباهه ، وان يشعر أنه في ترتيله لهذه الدعايةالجوفاء، فانما هو ينفذ الخطة الصهيونية الاستعمارية التي يهدد خطرها وطننا وأبناءنا وأحفادنا •

اللهم هذا الجهد •

وعليك الاتكال والتوفيق •

مشاهدات وحقائق

الدعاية الصهيونية وأثرها في الرأي العام

لا عجب أن تلاقي دعاية المستعمرين والصهاينة ضد العرب قبولا طيبا في كل من المعسكرين الشرقي والغربي ، ولا غرابة فيما اذا وجدت هذه الدعاية الموبوءة في تلك الاماكن تربة خصبة فازدهرت بها بذرتها ، وأينعت ثمرتها حتى فازت فوزا عظيما ، لا في مجتمعاتها الشعبية وأنديتها القومية وصحافتها وأبواق اذاعتها المحلية فحسب ، بل حتى في المجالات الدولية العامة .

لا ، لسنا نستغرب ذلك وانما نعتبره أمرا طبيعيا ، حتى ولو تجاوز حداً قلبت به الحقيقة وصور به الباطل حقا والحق باطلا ، وبلغ الامر درجة من الظلم والطغيان جعل أعوان الصهاينة يحكمون عن ايمان بالباطل بأن اسرائيل لم تكن ظالمة معتدية عندما شردت مليونا ونصف مليون عربي ، وقتلت الشباب ، ويتمت الاطفال الرضع ، وفتكت بالاعراض ، وسفكت دماء الشيوخ ، ورملت النساء ، واغتصبت المساكن ، وسلبت الاموال ، واستولت على المدن والمساحات الشاسعة من الاراضي زورا وظلما .

يقول الاستاذ شفيق الرشيدات في كتابه « فلسطين » ص ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ ــ العبارات الآتية :

« فبعد كل مرحلة من مراحل التهجير المرسومة ، كانت تقوم اسرائيل فورا بالاستيلاء على اموال العرب المنقولة وغير المنقولة • فتضم أراضيهم الى أملاكها ، وتتصرف بمنقولاتهم لمصلحة مجهودها العدواني ، وتستخدم مدنهم وقراهم لايواء المهاجرين اليهود • وحتى الاقسام المخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم احتلتها العصابات اليهودية ، واعلنت ضمها الى رقعة دولة اسرائيل ••!

ومن الاطلاع على تقرير لجنة التوفيق الدولية(١) ، يمكن للباحث المنصف ان يقدر خسارة اللاجئين في ممتلكاتهم التي استولى عليها اليهود ، ويمكنه ايضا ان يقف على حقيقة الكيان الزائف الذي تدعيه اسرائيل • فهي تقوم منذ وجودها على أرض عربية صرفة ، وتأوى مهاجريها وتطعمهم وتشغلهم في املاك اللاجئين سكان فلسطين الشرعيين •

فلقد قدر خبراء لجنة التوفيق ان مايزيد على ٨٠ ٪ من مساحة اسرائيل الكلية ، وأكثر من ثلثي الاراضي المزروعة فيها هي اراض عربية ، هجرها اللاجئون العرب تحت ضغط اعمال الارهاب والعنف ، وفي اثناء معارك الحرب الفلسطينية • وأكدوا ان ثلث سكان اسرائيل من اليهود يعيشون في ممتلكات اللاجئين ، وان ثلث المهاجرين اليهود الجدد قد اقاموا في المدن والقرى العربية وان العرب يملكون من الاراضي الصالحة للزراعة في اسرائيل مرتين

---

(١) تقرير لجنة التوفيق الدولية لعام ١٩٥١ ، بحث « ممتلكات العرب » •

ونصف أكثر مما يملكه اليهود ، وان اليهود استولوا على كل هذه الاراضي بعد ان طردوا اصحابها خارج فلسطين .

واثبتوا كذلك ان اليهود استولوا على ١٥ مدينة عربية صرفة ، وعلى مايخص العرب اللاجئين في ثلاث مدن مختلطة ، وعلى(٧٠٠) قرية عربية خالصة ، بكل مافي هذه المدن والقرى من عمارات ومصانع ومتاجر ومنقولات وبكل مالسكانها من اراض ومزارع وحيوانات . وان (٣٥٠) مستعمرة من اصل (٣٧٠) مستعمرة جديدة انشأتها اسرائيل ، اقيمت في ارض عربية ومن اجل استغلال الاراضي العربية .

ولقد كان اللاجئون الفلسطينيون يمتلكون في ارض دولة اسرائيل المزعومة ذاتها كل غابات الزيتون تقريبا ، ومعظم بساتين الفواكه وبيارات الموالح والحمضيات . وقد استولت عليها اسرائيل كلها كما استولت على المدن والقرى ، وتصرفت باداراتها وانتاجها منذ عام ٩٤٦/٩٤٨ لحسابها الخاص بينما اصحابها الشرعيون يتضورون بؤسا ويموتون جوعا .

وحتى الاراضي التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم لم تسلم من غزو اسرائيل واغتصابها فقد خصص لاسرائيل بموجب قرار الامم المتحدة (١٥,٢٦١,٦٤٩) دونما ، أي ٥٦ ٪ من مجموع مساحة فلسطين الكاملة . وعلى الرغم من ان اليهود لايملكون سوى ١٠ ٪ من هذه المساحات ويملك العرب وحكومة فلسطين الباقي ، فقد قام اليهود بطرد العرب من هذه الاراضي واستولوا عليها وعلى اراضي الدولة ، وتجاوزوها الى المنطقة

المخصصة للعرب والمنطقة الدولية ، فاستولوا على معظمها ووسعوا حدود دولتهم تبعا لذلك •

وهكذا تضخمت اسرائيل حتى بلغت مساحة رقعتها (٢١) مليون دونم •

ولقد كان لنجاح خطة تشريد عرب فلسطين اثر واضح في قيام اسرائيل وبنائها • فلم تكن لتستطيع تثبيت كيانها كدولة يهودية لولم تنقذها هذه الخطة من الاكثرية العربية ، ولم تكن تستطيع الوقوف في ظروف اعلانها العصيبة لولم تستعن بالاموال العربية المسلوبة ، وما كانت تستطيع استيعـــاب سبعمائة الف مهاجـــر استوردتهم بعد عام ١٩٤٨ مباشرة ، لو لم تغتصب المدن والقرى والاراضي العربية •

فقد قدرت لجنة التوفيق الدولية قيمة ممتلكات اللاجئين التي استولت عليها اسرائيل بالمبالغ التالية :

مليون جنيه استرليني :	
١٠٠	قيمة بيارات الموالح والحمضيات
٢٧٥	قيمة كروم للفاكهة والزيتون
٠٥٠	قيمة الاراضي الجيدة
٢٥٠	قيمة الاراضي نصف الزراعية
٢٠٠	قيمة الاموال المنقولة
١١٠٠	قيمة الابنية
٠٠٠١	قيمة بيارات الموز
١٩٩٦	مليون جنيه استرليني

هذا بالاضافة الى ملايين الجنيهات النقدية التي استولت عليها اسرائيل من البنوك والمؤسسات المصرفية العربية ، ومن منازل العرب ومحلاتهم التجارية • وقد قدرت الماشية التي يملكها العرب اللاجئون بمليون رأس عام ١٩٤٤ ، وقدرت الضريبة المدفوعة عنها عام ١٩٤٦ بمبلغ (٧٤٤) ألف دولار ، وأنتجت بساتين الحمضيات العربية فقط مليوناً ونصف مليون صندوق عام ١٩٥١ ، وأمنت ١٠ ٪ من مجموع دخل فلسطين القومي وكان اكثر من ربع المباني في دولة اسرائيل عام ١٩٥٤ ملكا للعرب ، وكان أكثر من ثلثي انتاجها الزراعي من الاراضي العربية • فاستولت اسرائيل على كل هذه الممتلكات وانتاجها منذ عام ١٩٤٨ ، وسخرتها فورا في اقامة كيانها ودعم اقتصادها وتوطين مهاجريها • »

انتهى ما أورده الاستاذ الرشيدات كما أننا لا نستغرب ماحكمت به الامم المتحدة عام ١٩٤٨ بفضل هذه الدعاية الشريرة من أن اسرائيل هي صاحبة الحق ، وهي الطفلة المدللة المظلومة (على حد زعمهم) • أما عرب فلسطين المشردون والمشتتون ، والمسلوبة حقوقهم ، فانهم كاذبون بما يدعون ، ولم يكونوا يوما من المظلومين !!! وكل ما في الامر أنهم قوم باعوا أراضيهم الى اليهود عن رضا وطيبة نفس ، ثم ادعوا أن أراضيهم اغتصبت منهم زوراً وظلماً بعد ما أنفقوا ثمنها بالليالي الحمر على فتيات تل أبيب !!! هذه الدعاية هي التي روّجها اليهود والمستعمرون حتى ربحوا المعركة السياسية بفضل هذا الافتراء المزيف •

ومهما يكن من أمر هذه الدعاية المختلقة من حيث الانحراف الخلقي

الواضح ، والبهتان الصريح ، والافتراء السافر ، فاننا لم نستنكر ذلك ولم ننتظر من عدونا اللدود ماهو أقل من هذا البهتان •

أجل اننا لم نحزن ، ولم نغضب ، ولم نستغرب ، ولن نعجب • ولا نستنكر ، أن يكون لدعاية الاعداء رواج في أرض الاعداء وشيوع وقبول بين صفوفهم ، وانما موضوع الدهشة بل مصدر الاسى والالم والحزن العميق ، هو ان تتسرب دعاية أعدائنا ويكون لها القبول الحسن والاثر الفعال في كيان المجتمع العربي من حيث لايشعر كل فرد منا بسريان هذا الداء الخطير •

وهكذا نجد الصهيونية المجرمة لم تقنع بسفك دماء اخواننا الفلسطينيين ، وان تجعل منهم شعباً هائما لا وطن له ولا مأوى • لا ، لم تقف الصهيونية عند هذا الحد، بل الاسوأ من ذلك والادهى والأمرّ أنها استطاعت بفضل تضليلها وافترائها وبهتانها ، وبفضل مؤازرة الطغاة المستعمرين الذين صنعوا اسرائيل وأوجدوها من العدم ، وبفضل غفلتنا وعدم يقظتنا لدسائسها ، أو قل بفضل سذاجة المغفلين منا ، استطاعت اسرائيل وحلفاؤها ان يوهمونا بدعايتهم ويذروا على أعيننا الرماد وينومونا تنويما مغناطيسيا بصورة يقنعوننا بها عن طريق الايحاء ، ان الشعب الفلسطيني شعب شرير ووبال لا على الامة العربية فحسب، وانما على البشر أجمعين• وتستمر الصهيونية والمستعمرون في اقناعنا عن طريق غير مباشر حتى نؤمن ونصرح فيما بيننا جميعاً بلسان واحد ، بان كل ما لقيه الفلسطينيون من تشريد وتقتيل ليس الا عقاباً من الله لهم جزاء وفاقاً بما كانوا يفسدون •

ولكي تتمكن اسرائيل من غرس بذرة دعايتها هذه في صميم العالم العربي بغية محو العطف والشفقة والالفة من قلب كل فرد من الامة العربية تجاه اخوانه الفلسطينيين ، لعلمها انها اذا ربحت هذه الصفقة فقد ربحت آخر رصيد بيد الفلسطينيين يعتزون به عند اخوانهم العرب — من أجل ذلك ، تذهب الصهيونية الخبيثة ويذهب من ورائها المستعمرون الظالمون ويشيعون ويذيعون ، بكل وقاحة ، الدعاية الماكرة القائلة « ان الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم لليهود عن رضاء وبمحض ارادتهم » • وتتجاوز الدعاية اللعينة الى ماهو أوقح من ذلك فتزعم وتفتري قائلة وبعد أن باع الفلسطينيون أراضيهم بأثمان مغرية ، بعد ذلك أنفقوا أثمانها على شهواتهم وملذاتهم ، و • و • و الخ •••

والذي يحزن ويخزي ، ويحز في نفس كل عربي مخلص يقظ هو ان هذه الدعاية لا ينكر أحد منا أنها تغلغلت في صميم الكيان العربي ، ولعبت دورها الخطير في كل قطر من أقطار وطننا العربي الشامل ، وراح الكثير من السطحيين السذج منا يرتلها كآي الذكر ، ويرددها كالببغاء لا يعرف من أين مصدرها ، بل لا يدري ماذا يكون من نتائجها الوخيمة على أمته العربية ، ولا يعقل بانه يسير بركاب الصهاينة ويخدم فكرتهم وينشر دعايتهم في صفوف أمته العربية ضد اخوانه الفلسطينيين من حيث لا يعلم •

اذا أدبرت عنك الدنيا سلبتك محاسنك

وثمـــة ظاهرة ألهبت تلك الدعايـــة الصهيونية الاستعمارية ، وهذه الظاهرة أشار اليها الادباء والحكماء بما معناه « أن الدنيا اذا أدبرت عن فرد أو جماعة ، أو أمة بأسرها برزت وتجلت مساوىء وغلطات من أدبرت عنه بقدر ماتختفي المحاسن والعكس بالعكس» •

واذا تدبرنا هذا المنطق السليم بعين الانصاف والعدل وجدناه منطقا صحيحا لاشطط فيه ، وبقدر ما يصح تطبيقه على الافراد ، فانه صالح أن يطبق أيضا على الجماعات وعلى الامم • فكلنا يعرفه مثلا شخصا من سائر الناس كان نكرة لا يؤبه له ، وانما جاءتــه مناسبة ما برزت فيها مواهبه ، أو قل انها سنحت له الظروف الطارئة والفرصة الملائمة فخلقت من هذا المرء المنزوي الذي لايعرفه بالامس الا ذووه الاقربون ، زعيما ذائع الصيت ، فتأتيه أنت الذي عرفته أيــام بؤسه وخموله فتجده قد تبدل تبدلا كليا في هيبته ووقاره اللذين لم تعهدهما فيه من قبل ، بل انك لتجد هذا التبدل شاملا لمنطقه ببيان ملحوظ ، ولعقله بنمو ملموس ، وفي تدابيره وسلوكه بشكل يفرض عليك احترامه واجلاله ، حتى تكاد ان تقول ان هذا غير صاحبي الذي أعرف عنه الانطواء والجمود •

وكما يصح تطبيق هذا المنطق على الافراد فانه يصح تطبيقه على الشعوب وعلى الامم عينا بعين ، ونحن لانريد ان نذهب بعيدا بالدلالة على صحة هذا المثل ، بل يجدر بنا ان نستشهد بواقع شعب الجزيرة العربية عندما كانت قاحلة مجدبة . لقد كانت تلك البلاد فارغة من كل مظهر من مظاهر الرقي سوى الشيمة العريقة والتمسك باهداب الفضيلة ، والتقمص بجلباب الدين ، والتوشح بتاج الاخلاق العربية الاصيلة ، ولكن دعونا نحكم الواقع والتاريخ ونتساءل : هل كان يا ترى لاصحاب تلك القيم الاخلاقية ولساكني تلك البلاد المقدسة العريقة برسالتها الانسانية ، والاصيلة بعروبتها اعتبار بالمعنى الصحيح عندما كانوا عارين من الدولار ؟

الجواب : كلا والف كلا .. بل اننا لنجد ان الدعاية التركية الخديوية تمكنت بكل سهولة ان تشوه سمعة شعب الجزيرةالعربية وذلك بعد الحرب التي شنها ابراهيم باشا الخديوي الارناؤوطي .

وما ان ربح الخديوي الحرب باساليبه الوحشية التي لايتسع المجال لشرحها حتى سعت السلطنة التركية بدعايتها الملفقة التي شوهت بها سمعة شعب الجزيرة العربية بشكل لايقل افتراءً عن الدعاية المختلقة التي شوه بهـا المستعمرون والصهيونيون سمعة الشعب الفلسطيني ، اذا لم نقل أقبح واسوأ منها . ولقد بلغت الدعاية التي قام بها الاتراك ضد شعب الجزيرة حدا جعلت المواطن العربي من ساكني الجزيرة يخجل من ان يعرف عن نفسه انه من أهل تلك البلاد ، لانه بمجرد مايقول انه من الجزيرة فانه سوف يعتبر « وهابيا » خارجا عن الدائرة الاسلامية ، لانـه لايحب

الرسول محمدا ، ومن لايحب الرسول يكون غير مسلم طبعا •

وعلى هذا الاعتبار أصبح ساكنو الجزيرة حسب الدعاية المختلقة غير مسلمين ، وعلى الرغم من أنهم أشد المسلمين تمسكا بهدي الرسول (ص) ، وعلى الرغم من انهم حنبليو المذهب • وعلى الرغم من ان مذهبهم ينص بان من لم يصل على النبي في صلاته فان صلاته تعتبر باطلة حتى ولو كان عدم صلاته على النبي جاءت عن طريق السهو والنسيان ، ولكن ذلك التمسك العنيف بسنة النبي لم يغير شيئا من سمعة شعب الجزيرة في نظر الكثير من افراد العالم الاسلامي وقتذاك •

ولماذا ؟•• وما السبب ؟•• السبب ياسيدي بسيط وهو ان الحكومة التركية والخديوية قلبت الحقائق ، ولان ابراهيم باشا الخديوي تغلب على ساكني الجزيرة بعد ان تكالب عليها جيش الحكومة التركية العرمرم ، وفي حالة كهذه الحالة يكون الامر طبيعيا ومنطقيا ان يتحقق مثل قول الشاعر ابن المقرب :

أرى الناس مذ كانوا عبيدا لغاشم
وخصما لمغلوب وجندا لغالب

وهكذا يعيد التاريخ نفسه ، ويبدو لنا الامر واضحا جليا عندما نرى اساليب الدعاية المحكمة التي يبرمها ويختلقها المستعمرون والصهاينة ، عندما نرى ذلك تؤمن ايمانا لا ريب فيه بان مايقوم به المستعمرون اليوم من الدعاية المختلقة ضد الشعب العربي الفلسطيني ، ماهو الا امتداد للدعاية الاستعمارية التركية

ضد شعب الجزيرة . وان تغير المظهر ، فان الاصل هو هو لم يتغير بتغير العدو ، أو الزمان .

نعم انها حلقة وطيدة الاتصال بين الدعاية الاستعمارية التركية عام ١٢٣٣ هـ. الموجهة ضد شعب الجزيرة وبين الدعاية الاستعمارية الصهيونية الراهنة الموجهة ضد الشعب العربي الفلسطيني التي وجدت لها في كل بلد عربي مرتعا خصبا تسرح فيه وتمرح . وقد لانستطيع ان نستثني بلدا من البلدان العربية دون الآخر ، بل كل من الاقطار العربية جاءه نصيب وافر من هذه الدعاية الخبيثة بين مقل ومكثر . ولا بد ان الكثير منا رأى شيئا من ذلك وسمع كما سمعنا . ولذلك استطيع ان أوكد صحة ماأشير اليه ، على ان تأثير الصهيونية وقوة مفعولها سرى كسريان النار في الهشيم . نعم أستطيع ان أثبت صحة ذلك ، مستشهدا بقليل مما شاهدته رؤية العين .

كنت شاهد عيان

وعلى سبيل الاقتصار اود أن آتي بقليل من كثير لكي أثبت للقارىء صحة ماأشير اليه من الحوادث المحزنة التي يوشك ان لاأصدق صحة وقوعها لو لم أكن واقفا عليها كشاهد عيان ! ..

١ ـ كنت ذات يوم في بلد من بلاد امتنا العربية راكبا « الترام » وكان غاصا بكثير من الركاب الذين هم من مختلف طبقات الشعب. في تلك اللحظة صاح أحد الركاب فجأة بأعلى صوته قائلا : لقد سرقت « محفظتي » .

وبمجرد ما انقطع الصوت أجاب على الفور وبسرعة مذهلة أحد الركاب من أقصى المكان بصوت جهوري ، وبعبارة وقحة موجها نداءه للركاب قائلا : « علينا ان نفحص جنسيات الركاب فان وجدنا بيننا فلسطينيا فيكون هو السارق حتما » .

ولحسن حظ أمتنا العربية انها وان تكن لاتخلو من البسطاء المخدوعين بالدعاية الاستعمارية اليهودية ـ كهذا الراكب الاخير ـ فانها لاتخلو ايضا من الواعين المخلصين الذين لم ينخدعوا بالدعاية

اليهودية ، وذلك انه ماكاد ينتهي هذا الساذج البسيط من كلامه الذي اتهم به الفلسطينيين بصورة عامة ، حتى سمعت صوتا صارخا بعنف موجها كلاما مناقضا ومفندا لما يدعيه ذلك المغفل الابلـه بمعنى لازلت اعتز بحفظي له رغم ان الحادثة كانت عام ١٩٥٢ ، لقد صاح هذا المواطن الواعي قائلا : لئن كان السارق فلسطينيا فعلينا ان ندرك ان الفلسطينيين جميعا في حالة من البؤس والفاقة اشبه ماتكون بحالة ساكني المدينة المنورة في عهد خلافة عمر بن الخطاب في عام المجاعة المسمى بعام « الرمادة » ذلك عندما افتى الخليفة عمر نفسه بعدم اقامة الحد على السارق في تلك السنة المجدبة .

وبهذه الكلمة المليئة بالعدالـة والطافحة بالمنطق والمتوجـة بالانصاف انتهى الامر بسكوت المدعي والمتهم معا . ولولا انتباه هذا المواطن المخلص لكانت النتيجة الحتمية هي أن يجري التفتيش وأي فلسطيني يوجد بين الركاب سوف يساق للشرطة ، لا لتهمة يدان بها ، ولا لبينة تقوم عليه ، لا لهذه ولا لتلك ، ولكن لانـه فلسطيني .

أو بعبارة اصح لاننا مع الاسف تسيرنا الدعاية الصهيونية بلا احساس وبدون شعور بل وبدون تفكير .

٢ ــ ومما شاهدته ايضا على سبيل الحصر : كنت راكبا في سيارة « تكسي » وكنت خامس الركاب فيها وكل منا خارج من حكومة عربية قاصدا الذهاب الى حكومة اخرى . وعندما أوشكنا ان نجتاز آخر حد من حدود تلك الحكومة التي خرجنا منها ونبتدىء

الدخول بحدود الحكومة الاخرى ، في تلك اللحظة اوقفنا أحد شرطة الحدود لينظر الى جوازات المسافرين حسب الاصول المتبعة في البلاد العربية ، فطلب منا مفتش الشرطة ان يقدم كل راكب منا جواز سفره . فقدم كل منا جوازه فنظر اليها المفتش ثم أعاد كل جواز الى صاحبه بكل هدوء واحترام .

وكان بين الركاب الخمسة الذين هم من مختلف الحكومات العربية شخص لاحكومة له ولا بلد ، كان بينهم فلسطيني لسوء حظه يدعى « ابو اسعاف » كنت أعرفه رئيسا لفرقة من المجاهدين في حرب فلسطين الفاشلة ، فبمجرد مانظر الشرطي الى وثيقة سفره وتبين له انه فلسطيني صاح على الفور بكل قسوة وعنف قائلا : انزل من السيارة ياكيت وكيت وكال له سيلا من الشتائم والالفاظ البذيئة ، فتردد الراكب قليلا محاولا ان يستفهم من الشرطي عن سبب هذه المعاملة القاسية ، ولكن الجندي «الشجاع الباسل» !!! لم يجعل مجالا للاخذ والرد ولا للاستفهام من الراكب بل حاول ان يجهز عليه ويستعمل معه وسائل العنف التي لاتستعمل الا مع المجرمين . وهنا تدخل أحد الركاب في الموضوع وسأل الشرطي عن السر الذي من أجله يعامل هذا الراكب بهذا الاسلوب . فأجاب الشرطي بكل بساطة كما يلي : « لانه فلسطيني . ولان الفلسطينيين مجرمون ساقطو الاخلاق اساؤوا الى سمعة العرب بما فعلوه من الجرائم بما هو كذا وكذا .. الخ » .. ولحسن الحظ ايضا ان الشخص الذي تدخل في الموضوع كان واعيا وجريئا وذا مركز يفرض على الشرطي احترامه ، أو على الاقل لم يكن فلسطينيا الامر

الذي جعل الشرطي يترك سبيل الراكب المتهم بعد جدال عنيف ، ولما وصلت القضية الى قائد المخفر استطاع الراكب المدافع عن المتهم ان يقنع قائد الشرطة قائلا له : ان هذا المتهم لم يكن له جريمة يختص بها دون الركاب الخمسة الا لانه فلسطيني • وكانت هذه الجنسية كافية بنظر الشرطي ان تكون جريمة لاتغتفر لولا ان قيض الله لهذا الفلسطيني من ينتصر له من اخوانه المواطنين العرب الغيورين الذين لاتخلو الامة العربية من وجود العدد الطيب منهم •

ان هذه الاشياء الناتجة من تأثير الدعاية اليهودية العالمية هي بعض مارأيت ، ولا يسعني ان أسرد كل مارأيت وما سمعت • وما نقل لي عن الثقاة فهو اكثر من ان يحصى • ولكي آتي على سبيل الاختصار بقليل من كثير ففي عام ١٩٥٢ كثرت حوادث الارهاب على مختلف انواعها في قطر من أقطار الامة العربية واحرق بنك من البنوك ودبرت مؤامرة اريد منها قتل شخص حاكم وقتذاك • ونجا منها ، وحدث كثير من حوادث الارهاب بصورة متواصلة فطارت الاشاعات المتواترة القائلة ان هذه الحوادث الارهابية لايقوم بها الا اللاجئون الفلسطينيون ، وأوشكت هذه الاشاعات ان تصبح عقيدة راسخة في أفئدة المواطنين لولا ان مكتب الاستخبارات في تلك البلاد تمكن بسعيه الحثيث ان يكشف القناع ويصل الى الحقيقة التي أسفرت عن أن جميع الحوادث التي صدرت كانت منبثقة من مصدر واحد ، وهذا المصدر متكون من خلية سرية تتكون من عدد يبلغ عشرين شخصا او اكثر • ولهذه الخلية حسب المعلومات التي كشفها مكتب الاستخبارات واذيعت

وقتذاك عن طريق صحافة البلاد المحلية ، فروع في بعض البلاد العربية المجاورة لتلك البلاد • والذي يسترعي الانتباه هو انه لم يكن بين أفراد هذه الخلية فلسطيني واحد •

٣ ـ وقد علمت ايضا أنه وقعت منذ ست سنوات حوادث اختلاس وسرقات كثيرة في بعض البلاد العربية وهنـاك شاعت الشائعات المتواترةان السارقين كلهم فلسطينيون ، وقدسمعت شخصا من البسطاء يؤكد حسب مايزعم او مايروى له عن طريق الدعاية الاستعمارية المختلفة ان مدير الامن أكد أن ثمانين بالمائة من حوادث السرقة التي تقع في تلك البلاد كلها من الفلسطينيين • ولكن سرعان مانطقت الادلة وشهدت البراهين بان السارقين الذين كثرت منهم حوادث السرقة في تلك البلاد ، لم يكن بينهم فلسطيني واحد ، والدليل القاطع على ذلك هو ان حكومة تلك البلاد قبضت علـى السارقين واداتتهم بالبينة واجرت عليهم الحكم الشرعي المعمول به في اصول حكم تلك الحكومة • وكما أشرنا لم تستطع الحكومة ان تدين فلسطينيا واحدا من هؤلاء السارقين •

دلالة هذه الحوادث

هذه الحوادث التي منها ماشاهدته رأي العين ومنها ماسمعته من الثقاة ليست الا القليل من الكثير ، وما من حادثة من هذه الحوادث الا وقد وقع مثلها في بلاد كثيرة مـــن البلدان العربية منفردا عن البلاد الاخرى مما يعطينا دليلا واضحـــا ان الدعاية الاستعمارية الصهيونية قد لقيت قبولا طيبا في شتى البلاد العربية. واذا شئت ان تتأكد أكثر من صحة مانشير اليه فعليك ان تذهب الى قارعة الطريق العام او في اي شارع كان من شوارع اي بلد من بلدان الامة العربية وتسأل أي شخص تلتقي به من العابرين في هذا الشارع عن رأيه بالفلسطينيين كشعب لا عن رأيه في القضية الفلسطينية التي أتخذناها قميص عثمان ، فاذا شاء اي كبير منا أو صغير ان يكسب ثقة وطنية او شعبيةويحرز منها الاكثر ، تحدثعن القضية الفلسطينية وعن العودة والكرة الثانية الى فلسطين بكل حماس واندفـــاع . لا ياسيدي لا اريدك ان تسأل عن القضيـــة الفلسطينية بشكل عام ، لان هذه القضية امرها مفروغ منه فكلنا متفقون على ابراز اعظم مظهر يمكننـــا ان نبرزه من الحمـــاس

والاندفاع لها • سواء من كان منا مخلصافي ذلك او من كانمجاملا لسواد الشعب العربي ، وعلى كل فاني لا اعتقد ان الامة العربية جماعات وافرادا شعوبا وحكومات كلهم مجمعون على الاخلاص للقضية الفلسطينية ، وانما درجات الاخلاص والتفاني تتفاوتطبعا بين جماعة وجماعة ، وفرد وفرد • ولكن الشيء الذي أشير اليه والذي نحن لازلنا مخدوعين به منحيثلانشعر هو انيأود أنيقف واحد منا في شارع من الشوارع العامة في اي قطر من الاقطار العربية ، ويسأل هذا من يشاء من المارة عن رأيه في أفراد الشعب الفلسطيني ، سل يا أخي من شئتمن عابريالسبيلوافحصالاجوبة التي تتلقاها من مختلف طبقات الشعب العابرين ، ذهابا وايابا في هذا الشارع ثم اذهب الى بلاد اخرى واخرى او طف جميع البلدان العربية • ومثل الدور في كل شارع من شوارع كل مدينة من مدن كل بلد عربي •• افعل ذلك وثق انك لن تجد ياسيدي الا ماوجده وما سمعه وشاهده كاتب هذه الاحرف من الدعاية اليهودية التي أتقنها المجرمون ، وذهبنا نحن نطبل لها بدون أن نعرف او ندرك انها صادرة من اعدائنا الذين بثوا دعايتهم المسمومة في العالم العربي ونالت من القبول ما نالت عند الكثير من أبناء الامة العربية الذين ذهبوا يرددوندعاية اعدائهمالالداء ، بدونترو ، ولا امعان!! وبلا تفكير !! وبغير تدبر للنتائج التي تنجم عن قبولنا واصغائناوعن عدم انتباهنا ومكافحتنا لهذه الدعاية الوخيمة العاقبة ، !!! لا على الشعب الفلسطيني بصورة خاصة فحسب ، بل وعلى الامة العربية

جمعاء وفقا للمثل الشعبي القائل : أن من يتغدى أخاك اليوم فسوف يتعشاك غداً .

ولما كانت الدعاية الصهيونية الاستعمارية هي العامل الاساسي في قلب الحقائق وتشويه سمعة العرب في المجال الدولي بصورة عامة وتشويه سمعة الفلسطينيين عند اخوانهم العرب بصورة خاصة فانه لايفوتنا الانتباه الى عامل آخر مرتبط بالدعاية الصهيونية الاستعمارية ارتباطا لاينفصل وهو ان من يكمن في نفسه شيء من الضعف والهوان والاستسلام للهزيمة ، فانه سوف يتخذ من هذه الدعاية ذريعة يسلي بها نفسه الضعيفة ، وملاذا يلجأ اليه ساعة فراره من الكفاح ويفوته الانتباه أنه بمخادعته لنفسه كمن استجار من الرمضاء بالجحيم .

هكذا انفعل مركب النقص

والذي أشير اليه أيضا ولا أقول عنه بطريقـة حتمية وانمـا اظنه واخشاه هو انه قد يكون في نفوس بعض المخلصين منا شيء من مركب النقص الذي يعانيه من وخز العار والخزي في ضميره حينما يذكر انه من سلالةاولئك العرب الابطال الاشاوس الذين فتحوا مشارق الارض ومغاربها • ثم يعود الى نفسه محاسبا لها عما فعل هو وماذا ورث من مجد اسلافه الغابرين ؟ فلم ير أمامه الا مستقبلا مدلهما وحاضرا غامضا ثم يعيد الكرة محاسبا نفسه بأي زمن يعيش وفي أي عصر خلق ؟ فسيجد ان القدر المحتوم حكم عليه ان يعيش في زمن كان اتعس زمن عرفه العالم العربي • وانه خلق في عصر تحداه وتحدى أمته العربية اليهود الذين كانوا وما زالوا أحقر بني البشر على الاطلاق ، وأوفر الناس حظا بالنذالة واجمعهم نصيبا بالجبن واكثرهم رصيدا بالجشع المادي وارسخهم باعا بالخسة والغدر • اقول : عندما يشعر العربي منا أنه جاء الى الدنيا بهذه الفترة السوداء التي توشح بها من الخزي التاريخي والعار الابدي الذي جاء لامتـه ، لا من قـوم يتساوى واياهم

بالفضيلة ، ولا يتكافأ واياهم بالاخلاق والقيم ، عندما يذكر أحدنا ذلك يعود بذاكرته الى قول الشاعر العربي :

واعلــم بــان عليــك العـــــار تلبســه
من عضــة الكلب لا من عضــة الاســد

حينما يسمع هذا النداء الصارخ لايسعه وقتذاك الا ان يذهب بدافع الآلام منقبا عن مسكن من المسكنات او مخدر من المخدرات محاولا ان يجد من هذه المخدرات مايضمد به جروحه او يطفي لهيب شعلة البؤس ، فيذهب هنا وهناك عسى ان يجد مايخمد نيران احزانه بصرف النظر عن ان يكون هذا المخدر محرما او قاتلا ، المهم ان يجد مسكنا لهذه العلل النفسية وعندئذ يجد الدعايــة الصهيونية الاستعمارية فاتحة مصراعيها فيخيل لهذا أنه وجد في هذه الدعاية من المخدرات مايعزيه عندما يوهم نفسه ان ما حل بامته العربية من الكارثة الفلسطينية كان سبب ذلك الفلسطينيين انفسهم الذين باعوا اراضيهم لليهود عن سماحة نفس ، ثم ادعوا أنهم مظلومون • ومعللا ضميره ولو الى حد ما بانه لم يكن هو المسئول عن هذه الكارثة وانما المسئول عنها اصحاب الشأن أنفسهم اي الفلسطينيين (الذين) وقع عليهم من الله مايستحقونه • ان هذا العامل من أهم العوامل التي التقت والدعاية الصهيونية الاستعمارية على صعيد واحد وازداد لهيبها تأججا واضطراما •

عامل جديد

وأما العامل الثالث الذي لايقل خطورة ومفعولا عن سابقه فيتلخص بما يلي :

مما لاشك فيه ان الكارثة التي حلت بالفلسطينيين كانت بلا ريب من أعنف الكوارث وأشدها هولا ويندر جدا ان وقعت كارثة تشابهها بشعب من الشعوب . وليس معنى ذلك اننا تنكر او تتجاهل ما حل بكثير من الشعوب من الكوارث التي ينجم عنها التعذيب والتشريد والتقتيل بصورة قد لاتقل عن كارثة اخواننا ولكن شيئا واحدا يجعل الكارثة العربية الفلسطينيةغريبة في نوعها وهذا الشيء الواحد تتفرع منه أشياء : منها ان الصدمة أو الظلم أو التشريد أو التقتيل كل هذه الاعمال الشنيعة جاءت على يد طائفة حقيرة خسيسة لم يسبق في تاريخها قط ان كان لها كيان موحد دولي في عالم الحياة . كما لم يحدثنا التاريخ قطعيا انها غلبت احدا في حياتها بل كل مافي الامر ان هذه الطائفة الخسيسة كان افرادها محتقرين ومنبوذين ومشردين في شتى ارجاء الدنيا ، بل كانوا

كما تحدث عن واقع امرهم زعيم الصهيونية الدكتور وايزمان في مذكراته بقوله مامعناه :

ـ اننا نحن اليهود نرى انفسنا قذاة في أعين العالم ـ ترى ماذا يكون أثر الالم والحزن والبؤس في نفوس امةوشعب كالشعب الفلسطيني عندما يذكر انه ذهب فريسة لطائفة كانت قذاة قذرة في عيون العالم أجمع ؟ طبعا سوف يكون رد الفعل في نفس أي فلسطيني عنيفا جدا لا من حيث خسارتهم للحرب وهزيمتهم ولكن من أجل ان طردهم عن اوطانهم وتشتيت شملهم جاء على يد قوم كانوا دائما وأبدا مغلوبين ممقوتين منبوذين في كل صقع وقطر من اقطار الدنيا • ولانهم أي الفلسطينيين لم تسنح لهم الظروف أو لم تتح لهم الفرص ، بل بعبارة اوضح لم تساهم الدول العربية وقتذاك ولم تخل سبيلهم وتتركهم وشأنهم يتقاتلون واليهود في ارضهم • فاما ان يموتوا ابطالا شهداء بعدما يقاتلون عند كل شبر وفتر من أرضهم واما أن يعيشوا ويحيوا سعداء بعد أن يطهروا ارضهم من اليهود المعتدين •

كارثة غير متوقعة

هذا الذي يجعلنا نعتبر الكارثة الفلسطينيةتختلف كل الاختلاف عن الاحداث والكوارث الاخرى • وهناك شيء آخر ايضا يحملنا على أن نؤمن حقا بأن الفاجعة الفلسطينية غريبة من نوعها في تاريخ الانسانية • وذلك لان هذه الكارثة جاءت فجأة بدون أن يتهيأ لها أهلها وبدون ان يستعدوا لحدوثها المفاجىء ، ففي اللحظة التي كان اهالي فلسطين معتمدين على قوة جيوش الدول العربية ، وفي الحين الذي كانت الدول العربية جميعها ترفض قبول التقسيم طامعة بما هو أكثر من ذلك • وفي الوقت الذي كان الفلسطينيون يعتقدون انه عندما تدخل جيوش الدول العربية بحرب مع اليهود فان هذه الجيوش سوف تلقى باسرائيل في البحر بمجرد ماتقع الحرب بين الطرفين وكان هو الواقع المحتوم فيما لو لم يكن رئيس اركان الحرب القائد الاعلى للجيوش العربيــة وقتذاك انجليزيا وهو « الجنرال جلوب » وقد كانت اسرائيل نفسها قابلة للتقسيم وراضية به وخائفة كل الخوف من نتائج الحرب • ولكن في قدرة قادر وفي لحظة اسرع من لمح البصر انعكست الآية • وربح اليهود

مواقع لم تكن ضمن التقسيم الذي رفض العرب قبوله • بل أخذ الصهاينة عن طريق الغدر وعن طريق تخاذل العرب ، مدنا وقرى وأراض طويلة عريضة ، لم يحلم اليهود بالحصول عليها ، فكانت المصيبة مباغتة للعرب قاطبةوجاءت الكارثة مفاجئةللاجئين•وأسوأ الكوارث والمحن ما يأتي فجأة ، بدون سابق انذار ثم كانت النتيجة ان نزح الفلسطينيون تاركين منازلهم واثاثهم واموالهم ومزارعهم كل منهم نازحا بنفسه ، فالام فرت بعرضها وتركت ابناءها والاب نجا بدمه هاربا لايعلم ماذا تم باهله والفتاة شردتعن منزلهالاتعرف أين ذهب أبوها وأمها • فجاء هؤلاء المنكوبون جميعا دفعة واحدة شيوخا واطفالا رضعا ونساء مخدرات فتياتمشردات ، جاءوا الى البلاد العربية المجاورة حفاة عراة ما عدا مايستر عورتهم فذهبوا الى الجوامع في البلاد المجاورة فملأوها ففاضتبهم واخيرا التجأ منهم من التجأ الى الصحارى فاستوطنوا الخيام المهلهلة فصادف عامها بردا قارسا وامطارا غزيرة وثلوجا متراكمة وكانت النتيجة المفروضة ان فتك بهم الجوع والبرد والعري والمرض • وكل هذه المصائب او بعضها خليقة ان توثر على اخلاق اي فرد مصاب بجزء يسير منها ، وجديرة ان تجعل منه انسانا ساخطا على مجتمعه ، مرتبك الاخلاق فاقداً ثقته بنفسه • ومما لاشك فيه انه عندما تتفاعل هذه العوامل مع الدعاية الصهيونية الاستعمارية فانها سوف تشكل بطبيعة الحال خطرا سيئا وأهم خطر ينجم من هذه النتيجة ليس الا الاشاعات الكاذبة والدعاية الملفقة التي يتبناها السطحيون منا نقلاعن الدعاية اليهوديةبدون ان تتعقب منشأهذه الدعاية بل تجدنا نكررها زاعمين بان الفلسطينيين فيهم مافيهم بلا خجل وبدون تورع

وبدون ان نلتمس لهم أي عذر، اجل فلنسلم جدلا ان كل ما نشرته واعلنته ابواق الدعاية الصهيونية في حق الفلسطينيين من افتراء وزور وبهتان ، وان كل ماقاله اليهود صحيح لا يأتيه الباطل ولا شك فيه ، اقول اذا سلمنا جدلا بصحة هذه الدعاية الكاذبة فهل من الشيمة العربية ان نزيد الطين بلة ونشمت باخواننا وننشر خزيهم ونفضح عيوبهم وهم في هذه الحالة السيئة التي يرحمهم بها اي انسان لديه مثقال ذرة من العاطفة الانسانية ؟ أو َليس كما نعلم جميعا ان تعاليم ديننا الاسلامي وتقاليدنا العربية كلاهما يرشدانا بوضوح ان الفرق بين المؤمن وبين المنافق هو ان الاول اذا ابتلي أخوه بجريمة خفية سترها ونصحه ، هذه شيمة المؤمن بينما شيمة المنافق هتك الستر ونشر الفضيحة ، هذا اذا سلمنا جدلا بصحة الدعاية الصهيونية المختلقة التي لم تترك عيبا من العيوب التي لا صحة لها الا وصمت الفلسطينيين بها . ومن ضمن افتراءاتها وبهتانها ، من ضمن ذلك دعايتها المفتعلة القائلة : ان الفلسطينيين هم الذين باعوا اراضيهم . ومن المعلوم لدى كل انسان ان الغرض من وراء هذه الدعاية التي ابتكرها الاستعمار البريطاني اولا ثم تبناها الصهيونيون هو كما اشرنا سابقا ايهام الرأي العام العالمي من ناحية بان اليهود لم يكونوا معتدين على عرب فلسطين . ولم يستبيحوا شبرا من ارض فلسطين الا عن طريق المشترى الشرعي ، ثم ايهام الرأي العام العربي حتى يتجرد عن رحمتهم ولا يبقى في قلوب العرب نحو اللاجئين الفلسطينيين عطف ولا حنان ، بل يكونون دائما وأبدا منبوذين محتقرين مكروهين اينما حلوا وارتحلوا . وهذا اقصى مايتمناه اليهود والمستعمرون .

بـــراهين جديدة

ولكي نعلم علم اليقين ونكون على بينة من الامر بان مايشيعه اليهود والمستعمرون من الدعاية القائلة بان الفلسطينيين هم الذين باعوا ارضهم الى اليهود ، لكي نعلم ان هذه الدعاية محض افتراء واختلاق لاصحة لها فانه ليطيب لنا ان نقدم الادلة الواضحة التي لاتقبل الجدل مدعومة بالارقام والشواهد المقنعة ولا بد ان كل من أطلع وقرأ ماكتب عن الارض المغتصبة فانه سوف يؤيد صحة ماندلي به من البراهين ، ولعل الذي اطلع على مذكرات الدكتور وايزمان عميد الصهيونية الاسبق وأول رئيس لحكومتهم المزعومة الغادرة ، يتضح له الامر جليا بان مانأتي به ملخصا من المحاضرة التي القاها الاستاذ محمود عادل الغراء في المركز الثقافي العربي في مدينة طرابلس الغرب يوم ١٥ مايو ١٩٦٠ ليس الا الحقيقة التي لاغبار عليها •

واليك مالخصناه من المحاضرة المذكورة موضحـــا ومختصرا كالآتى :

« من المسلم به ان مجموع الاراضـــي الفلسطينية قدرهـــا

٢٧٬٠٢٧٬٠٢٣ دونم . وكان نصيب الجالية اليهودية في عهد الاستعمار التركي وقبل الاستعمار الانجليزي ٦٥٬٠٠٠ خمساً وستين الف دونم لاغير . وهذه الاراضي المحدودة كانت لاأهمية لها من ناحية الخصوبة ، وكان يتولى ادارتها مؤسسة يهودية وقتذاك . وللحكومة العثمانية حصة الاسد من محصول هذه الاراضي . وما ان ولى الاستعمار التركي الذي كان على علاته اقل وطأة وأخف شراً من الاستعمار البريطاني المشئوم ، حتى حل محله الاخير الذي كان عدوا سافرا لعرب فلسطين بل وللعرب اجمعين وموواليا حميما لليهودية العالمية .

وفي عهد الانتداب البريطاني البغيض زاد النشاط الصهيوني ونمت جذوره بصورة مذهلة ، وطفح الرقم القياسي نحو الاراضي التي يملكها اليهود سابقا من العدد سالف الذكر الى مليوني دونم وعلينا ان نفهم ان هذين المليونين جاءا لليهود على النحو الآتي : خمسمائة دونم منحها لليهود المندوب السامي البريطاني كلقمة سائغة . وهذه الهبة الجزيلة من اصل اثني عشر مليونا كانت ملكا للحكومة التركية او على الاصح ملكا للسلطان التركي وحده . وعندما قضى الاستعمار التركي نحبه عام ١٩١٧ ورثه على الفور الاستعمار الانكليزي . وما كان مسجلا من الاثني عشر مليونا باسم السلطان العثماني ، عاد وسجل باسم المندوب الساميوأصبح حينئذ المثل القائل « السارق من السارق كالوارث من أبيه » ساري المفعول .

الآن بات بيد اليهود مليون وخمسون دونما جاءت اليهم بدون ان يدفعوا بها أدنى ثمن ٠

ونعود الآن الى تكملة المليونين اللذين امتلكهما اليهود بواسطة الاساليب والطرق الاستعمارية الملتوية التيأعانهم عليها ومهدها لهم الحكم الانكليزي بواسطة المندوب السامي الذي سعى حسب توصيات لندن لتحقيق أماني اليهود بكل ما أوتي من القوة ٠

من المعلوم ان سكان البلاد العربية كانوا جميعا تحت حكم الدولة العثمانية وتعتبر كل البلاد العربية حكومة واحدة الا القليل منها ٠ وكانت فلسطين وسورية ولبنان والاردن قطرا واحدا ويطلق عليه اسم بـــلاد الشام ٠

ولما كانت فلسطين بطبيعة حالها من أخصب هذه البلاد تربـــة ولما كان المواطن العربي الذي ينتمي الى أي قطر من الاقطار العربية التي تحت الحكم العثماني بامكانه ان يمتلك ما شاء من الاراضي والعمارات ويسجلها باسمه فيما اذا كانت هذه الاراضي بدمشق مثلا أو في فلسطين وهو من العراق او حتى من اسطنبول ، فقدطاب لبعض العائلات السورية واللبنانية من كبار الموظفين والمتنفذين ، ان يمتلك عن طريق الشراء أراضي زراعية على أن يقوم بزراعتها أهلها الاصليون ، عن طريق المزارعة ٠ وكانت الحكومة التركية تأخذ العشر من أصل الانتاج ، وما يتبقى يعود للمالك مقابل ماله٠ وللمزارع مقابل أتعابه ، فيتقاسمونه كل يأخذ نصيبه الشرعي ، وهكذا دواليك ٠ ولم يطرأ على الوضع أدنى تغيير خلال الحـــكم التركي الثاني في ١٩٢٧ ٠ وكلا القانونين فيهما من المظهر المزيف

ما يوهم المزارع أنهما مليئان بروح العدالة وانصاف المزارع والفقير. هذا من حيث مظهرهما ، ولكن الشر الخفي وراء ذلك يرمي الى تجريد المالك والمزارع سويا من ملكية الارض وتمليكها لحفيدة الاستعمار وابنته البارة اسرائيل . وقد كان القانون الاول يقضي بألا يخرج المزارع من حرثه قطعيا لا بسبب ولا بغير سبب . واما القانون الثاني فانه ينص على اعفاء المزارع من ضريبة الانتاج كما ينص على ان المطالب بالضريبة المالك لا المزارع « يا سلام على هذين القانونين اللذين تبدو فيهما روح الاشتراكية بمعناها الصحيح» ترى ما هدف الاستعمار حتى جاء الاستعمار الانجليزي الفرنسي وتقاسما البلاد العربية فكانت فلسطين والاردن من نصيب الانجليز، ووهبت سورية ولبنان فريستين للفرنسيين. ولا يسع الغزاة الانجليز بعد ذلك الا ان يسعوا ما استطاعوا من أجل ان يضعوا لهم خليفة بأرض الوطن الفلسطيني ليعتمدوا عليه في الشرق العربي عند الضرورة ، كما وقع ذلك في غزوهم القناة. وحتى يضمن الاستعمار البريطاني لربيبته اسرائيل البقاء والتملك للارض المباركة عن طريقة يوهم بها الرأي العام العالمي والعربي بانها طريقة شرعية. من أجل ذلك سعى جاهدا ببذل الوسائل التي تمكن اليهود من مشترى الاراضي التي كانت بيد المواطنين الفلسطينيين ولكن الفلسطينيين الاحرار تنبهوا لهذه اللعبة . وجعلوا لهم مؤسسة تقوم بمشترى الاراضي التي يحتاج أهلها لبيعها كالمجلس الاسلامي الاعلى الذي اشترى من الاراضي بمبلغ ٤٥٠٠٠٠ أربعمائة وخمسين ألف جنيه كما أن هناك جمعية ارهابية من المناضلين الفلسطينيين وجمعيات أخرى يقوم أفرادها بتأديب من يتعامل مع اليهود ويبيع الاراضي لهم.

وعندما رأى المستعمرون واليهود أن وسائل الاغراء بالمال لبيع الاراضي لاتجدي ، عند ذلكذهبوا الىوسيلةأخرىفجاءوا بقوانين شديدة عنيفة ، وهذه القوانين خاصة بالملاكين دون المزارعين ، ومن هذه القوانين قانون سماه المستعمر «قانون حمايةالمزارعين» وقانون آخر يسمى « قانون الضرائب »• سنوا الاول في ١٩٢٦ والقانون الماكر من وراء ذلك ، وما غايته بهذين القانونين ؟ الرحمة بالمـزارع أم العطف على الفقير ؟•• ان غايته هي تحريضالمزارععلى ان يتمرد عن دفع نصف الانتاج للمالك الذي كان يدفعه له سابقا وقصده البعيد أي المستعمر انيجعلالملايينيخضعون للامر الواقعفيضطرون لبيع أراضيهم • والمقصود بذلك بصورة خاصة الملاكونالسوريون واللبنانيون والذين أبعدوا عن فلسطين بعدما انفصلت عن سورية ولبنان وأصبحت دولة مستقلة تحت نفوذ الاستعمار• وقد نجحت هذه الخطة الجهنمية وذلك ان الملاكين السوريين واللبنانيين وجدوا أنفسهم مرغمين على بيع أراضيهم التي لا يأتيهم من انتاجها شيء• ومن ناحية أخرى يطالبون بدفع الضرائب الباهظة فان لم يدفعوا فسوف تصادر حكومة الاستعمار الظالمة أملاكهم • اذن والحالة هذه فلا بد ان يتخلصوا من أملاكهم هذه ويقبضوا ثمنها حتى ولو كان الدافع لهذا الثمن الشيطان او من هو شر من الشيطان • وهل شر من الشيطان سوى اليهود ؟ •• وهكذا تـم لليهود مشترى الاراضي من العائلات المقيمة في سورية ولبنان كما أشار الى ذلك رئيس جمهوريةاسرائيلالسابق وزعيمالصهيونية الدكتور وايزمان بمذكرته حيث ذكر اسم العائلة التي اشترى اليهود منهـا صفقة

الارض (١) • وحتى يجري التاريخ مجراه الطبيعي الذي لا يرحم المسيء باساءته مهما عظم شأنه الا نشرها وفضح أصحاب المنكر والجرائم ولو بعد حين • من ذلك نجد التاريخ قد كشف الستار عن الالاعيب الاستعمارية اليهودية وذلـك أنـه مجرد ان تحقق مشترى صفقة الاراضي من العوائل النازحة كما ذكرنا وجاءت بقبضة اليهود كمالكين شرعيين ، مجرد ما تم ذلك ، بطل مفعول ذلك القانون القاضي بترك المزارع يتصرف بالمزرعة كيف يشاء بدون ان يخرجه منها أحد ، وسرعان ما انكشفت هـذه الخدعة الاستعمارية الانكليزية اليهوديـة بطـرد الانكليز للمـزارعين الفلسطينيين العرب حيث حل محلهم مزارعون يهـود كملاكـين شـرعيين •

وبهذه الصفقة الاخيرة تم لليهود امتلاك مليوني دونم فقط أي في عهد الانتداب • والاسوأ من الاساليب الاستعمارية التي يقوم بها الاستعمار البريطاني بتمليك اليهود أراضي العرب بطريقةالهبة تارة وبطريقة المكر والمخادعة طورا ، الاسوأ من ذلك هو أنه مجرد ان اشترى اليهود هذه الاراضي من غير الفلسطينيين كما سبق ذكر ذلك ، تمكن المستعمر من امتلاك هذه الاراضي بالطريقة سالفة الذكر وتضافرت جهود المستعمرين الانجليز وعملائهم اليهود بعد النكبة على بث الدعايات المختلفة القائلة : ان الفلسطينيين هم الذين باعوا أراضيهم لليهود بمحض ارادتهم ، وهكذا غرس المستعمرون

---

(١) يقول وايزمان بمذكراته ص ٥٢ تعريب فتح الله محمد مشعشع ، يقول ما نصه « استطعنا أن نشتري سهل مرج ابن عامر من عائلة سرسق في بيروت » .

الطغاة الظالمون هذه البذرة السيئة وتلك الدعاية اللعينة منذ عهد بعيد ، ولسوف تظل أعواما أكثر وأكثر ، ولسوف تنمو وتزدهر بذرة هذه الدعاية وتينع شجرتها الى ان يحين الوقت الذي ينتبه لها العرب في كل قطر من أقطارهم ويحاربوها بدعاية معاكسة . أجل أليس من العجز بل من العار أن يكون أصحاب الباطل شجعانا في نشر باطلهم وترويجه بين صفوف أمتنا العربية بينما نحن نعجز عن مكافحة باطلهم بحقنا .

محاربة الأباطيل

والذي ينبغي علينا جميعا جماعات وأفرادا هو ان نسعى ما استطعنا الى مكافحة هذه الدعاية الاستعمارية بشتى الوسائل وبمختلف الطرق ، وبكل ما أوتي كل فرد منا من القوة ، عن طريق الخطابة في الانديــة وفي الجوامع وفــي المقاهي وعن طريــق الاذاعات الحكومية وفي الامكنة والمجالس الشعبية وفي طبــع المناشير وفي دور السينما وفي التلفزيون • يجب ان تشاع هــذه الدعاية المعاكسة بين أفراد الشعب العربي وان يلقنها كل مــواطن حسب الاسلوب الذي يتسع له فهمه ، ولا يفوتنا الانتباه الــى المطالبة بنشر هذه الدعاية المعاكسة عن طريق المعاهد العلمية بصورة تجعل كل حكومة من الحكومات العربية تدخل في الحقل العلمي من مناهج التدريس برنامجا خاصا يلقن به الطالب كدعاية معاكسة، كما يلقن عطفه ورحمته ومحبته لاخوانه الفلسطينيين المنكوبين، كما ينبغي أيضا انه اذا وجد طالب فلسطيني أو طالبة في مدرسة مــا من المدارس العربية ، ينبغي على معلمي هذه المدرسة ومديــرها وطلابهــا ان يبدوا لهذا الفتى الطالب او لهذه الفتاة الطالبة مــن

العنايـة والعطف والمعاملة الاخويـة الرقيقة التي تجعله ــ أي الفلسطيني ــ لا يشعر بأنه لاجىء مشرد منبوذ لا أهل له ولا مأوى. وانما يجب ان نشعره بفضل ما يحسه ويلمسه من المعاملة الاخوية والعطف الابوي والشعور القومي المتضامن نحوه ما يجعله لا يرى نفسه الا بين ذويه الاقربين ، وأهله الادنين ، وهذه المعاملة مـن الناحية المعنوية كفيلة ان ترفع من معنويات اخواننا الفلسطينيين بكل معنى الكلمة .

قوانين بلا عدالة

ومن الناحية الاخرى وهي ذات أهمية كبرى لا يستهان بها وأعني بها تشغيل الايدي العاطلة من اخواننا الفلسطينيين بالطريقة التي تفتح لهم أبواب العمل وتسهل أمامهم سبيل منح سمة الدخول الى كل قطر عربي • على ان يعمل المواطن الفلسطيني في البلاد العربية جميعها كما يعمل ابن هذه البلاد ، وهذه الناحية البالغة في الاهمية ليس من السهولة بمكان تطبيقها عمليا الا بعد جهود جبارة عظيمة يقوم بها أولا حملة الاقلام المختصون عن طريق الصحافة في كل قطر عربي • فاذا مهد لها الطريق من هذه الناحية وذهبت كل صحيفة عربية في كل قطر عربي تنشر بالخط العريض هذه المبادىء التي لا شك عندي بأنها سوف تجد قبولا حسنا في نفسية كل عربي ، وانما الذي أراه هو ان المسألة هذه لا يواجه بها الرأي العام فورا في أول وهلة ، حتى يقام بتنفيذ المرحلة الاولى أي بث الدعاية المعاكسة للدعاية الاستعمارية التي شوهت سمعة الفلسطينيين • فاذا استمرت هذه الدعاية المعاكسة تسير سيرا حثيثا في صفوف الامة العربية بصورة لا توان فيها ، وفعلت مفعولها الايجابي ، بعد ذلك

يؤتى بالمرحلة الثانية التي هي بيت القصيد ، وأعني بها المطالبة بقيام كل حكومة بفتح أبواب العمل على مصراعيه للفلسطينيين[1] • وقد يكون أمام تنفيذ هذه الفكرة عقبة كأداء ليس من السهولة بمكان تحطيمها • ولكن متى ما تضافرت الجهود واتجهت الاهداف وتوحدت ارادة الشعب العربي التي هي أقوى من كل شيء وأعظم من ان يقف أمامها حائل ، متى تم ذلك فان ما نصبو اليه سوف يتحقق تنفيذه ، والتنفيذ فيما يبدو لي لا يأتي الا عن طريق الجامعة العربية، والسبب الذي يجعلني أشير أكثر من مرة بأن تنفيذ هذه الفكرة ليس بالامر السهل هو ان كل حكومة عربية وضعت لها أنظمة وقوانين تقضي بألا يشتغل في الاعمال الحرة الاهلية ، ولا يتوظف في الدوائر الحكومية الا المواطن الذي يحمل جنسية بلاده، وكانت الغاية من ذلك هي حماية الاعمال لابناء تلك البلاد من أجل ان لا ينافس هذا المواطن مواطن آخر من مواطني حكومات البلاد الاخرى •

ومن المؤسف أن هذا القانون الانفصالي الاقليمي الاجوف الذي يفرق بين أبناء الامة العربية ويبث بينهم روح التشاحن والانفصال وعدم التضامن ، من المؤسف انه لم تسنه وتبدأ بتنفيذه حكومة من الحكومات العربية التي ترى أن شعبها متأخر من الناحية الثقافية وتخشى منافسة شعوب الحكومات التي هي أرقى

---

(١) الاجمل من ذلك هو تجهيز الشباب الفلسطيني كجيش محارب في الحكومة الفلسطينية المؤقتة على النهج نفسه الذي أشار اليه المؤلف في كتابه الذي سوف يصدر قريبا بعنوان « كيف ننتصر »، ولذلك يكون الاقتراح بتشغيل الشباب الفلسطيني باطلا .

ثقافة من شعبها ، بل القضية جاءت عكس ذلك .

وبعد فاذا سلمنا جدلا بصواب هذا القانون الانفصالي الساخر الهزيل بتحيزه الاقليمي ورأينا مثلا ان العربي اليماني او السعودي او الذي من الجمهورية العربية المتحدة أو من حكومة عربية لا يستطيع ان يعمل الا في نطاق محدود لا يتعدى قطره المعين ، واذا سلمنا جدلا أيضا بان وضع هذا القانون لا يؤثر على أي عربي كان من دول الجامعة العربية كاللبناني او الكويتي او اي مواطن عربي لحكومته كيان دولي فان هذا القانون لا يهمه لانه عندما يجد انظمة البلاد العربية تحول دون توظيفه في عمل ما ، فانه سوف يعود في حالة فشله الى بلاده التي غادرها . وسوف يكون مسرورا في أي عمل يقوّم اوده بين ظهراني اهله وفي وسط بلاده وهو مطمئن وهادىء البال . ولكن المصيبة تقع في وضع هذا القانون على الفلسطيني الذي لا أهل له وهو المنكوب المشرد الذي سلب وطنه الظالمون وشوه سمعته المعتدون ، هذا المواطن المنبوذ الى أين يذهب والى أية حكومة يقصد عندما يحاول ان يعمل ليجد له لقمة عيش يقتات منها فيجد كل قطر من الاقطار العربية قد وضع نظاما يحول دون اقامة او تشغيل اي عربي كان مالم يكن يحمل جنسية هذا القطر . وهذا النظام بطبيعة حاله يحول دون تشغيل هذا الفلسطيني باية صورة كانت اللهم الا أن يكون مختصا بفن او بمهنة تكون هذه البلاد محتاجة لمهنته فقد يعطى اقامة محدودة لا رحمة به او مراعاة لظروفه التعيسة ، وانما مراعاة للمصلحة الخاصة بهذه البلاد التي يعمل بها بموجب مقدرته الفنية التي تفرض على أهل هذه البلاد ان يستفاد

منه بدافع الضرورة المحلية الاقليمية ، لا بدافع النخوة العربية التي ينادي بها كل فرد منا علانية .

ترى أين يذهب هذا الفلسطيني المنكوب عندما يرى جميع بلاد الله في ارض امته العربية وضعت ما وضعته من هذه الانظمة والقوانين التي تقضي بحرمانه من العمل ؟ ايذهب الى وطنه المسلوب الذي اختلسه الغزاة الغاصبون ؟.. أم يعود الى الخيام المرقعة ؟ ... هذه الناحية هي العمود الفقري في بحثنا هذا ، وهي التي يجب ان نعيرها جل اهتمامنا وان نلاحظها بكل دقة وعناية بصورة عملية لاتسويف فيها .

هكذا تقتضي النخوة العربية

والطريقة العملية التي يفرض علينا الواجب سلوكهـا وتحتم علينا النخوة العربية تطبيقها ، فيما اذا اردنا انقاذ فلسطين عمليا ، اذا اردنا ذلك علينا ان ننقذ الفلسطينيين الذين بين ظهرانينا حاليا . وعلينا اولا أن نواسي هؤلاء المشردين بنكبتهم ونشاركهم آلامهم ونقاسمهم احزانهم بشكل يكون مبدئيا كالآتي :

آ ـ ينبغي على كل قطر عربي الا يطبق على الفلسطينيين القانون الذي يقضي بالا يزاول العمل فيه سوى من يحمل جنسية هـذا القطر من بنيه الخلص ، بل ينبغي ان يستثنى منه كل مـن كان فلسطيني الولادة او بعبارة اوضح يستثنى منه كل فلسطيني نزح من بلاده بعد عام ١٩٤٨ أي من بعد النكبة حتى ولو كان متجنسا بجنسية بلاد عربية تحت ظروف قاسية اضطراريةفلا عبرة في ذلك ، وانما العبرة عندنا باصل البلاد الذي غالبا مايكون موضوعا في الجواز ، حتى ولو كان صاحبه متجنسا بجنسية يخالف مكـان الولادة ، وهذا الفلسطيني يجب ان تطبقعليه انظمةالبلاد التي يقيم ويعمل بها ، فان اساء التصرف عليه ان يعاقب كما يعاقب اي مواطن

من ساكني هذا القطر • وبالعكس اذا حسنت سيرته •

ب ـ ان يسافر الفلسطيني الى أي بلد عربي بدون تأشيرة دخول•

ج ـ الا تحدد اقامته بزمن معين -

قد نجد في هذه المادة التي أشير بها الى عدم تحديد الاقامة ، ربما نجد من يحتج بالفكرة القائلة : ينبغي الا يستوطن الفلسطيني في بلاد ما ، خشية على مايزعم ، ان ينسى الفلسطينيون وطنهم • يالها من حجة واهية لاتستند الى منطق • اجل فهل يمكن للانسان ان ينسى وطنه بوجه من الوجوه ؟ وكل منا يشعر ان محبة الوطن شيء طبيعي اصيل مرتبط بدم الانسان ولحمه حتى ولو أراد ان يتجرد منه فانه لايتمكن من ذلك • نعم انه لايمكن بطبيعة الحال ان ينسى او يتجرد عن محبته لوطنه والحنين اليه • هذا اذا كان مهاجرا عن بلاده بمحض ارادته ، فما بالك والحالة هذه بالمواطن الفلسطيني الذي طرد من بلاده زورا واخرج منها كرها وظلما وعدوانا • أيمكن لمن يكون بهذه الحالة أن ينسى وطنه بأي شكل من الاشكال؟ وما دام اننا نجد اي عربي مخلص لم تغرب عن ذهنه كارثة الفلسطينيين ، ولم تغب عن باله نكبة اخوانه ، ولم ينس ارضهم المسلوبة ووطنهم المغصوب ، فانه من مسلمات الامور ان الفلسطيني لن ينسى ولم ينس وطنه المغصوب مهما وجد من رفاهية العيش في بلاد اخرى •

ورحم الله الشاعر ايليا ابا ماضي عندما قال :

والمرء قد ينسى المسيء والمحسنا
لكنه مهما نسي هيهات أن يتناسى الموطنا

ولكن متى ينسى الفلسطيني وطنه ، ومتى يتنكر حتى لعروبته ، بل ويفكر بكل شيء سوى هذه المعاني ؟ أتعلم ياسيدي متى يكون ذلك ؟ يكون طبعا في حالة واحدة تلك التي اشار الى معناها رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : كاد الفقر ان يكون كفرا . في حالة كهذه الحالة أي عندما يجوع وحينما يعرى ، وفي الوقت الذي يفتك به المرض وهو جاثم في مخيمه وفي اللحظة التي يغزوه البرد في صحرائه ، وفي خيامه المرقعة ، وعندما يذهب ليجد له عملا يصون به كرامته ، وفي الساعة التي يذهب ليفتش عن لقمة عيش يخمد بها لهيب معدته ، عندما يذهب هنا وهناك ، في بلاد امته العربية ، ومن ثم يجد سمعته قد شوهها المستعمرون ويرى التهم الملصقة به يتقبلها بنو وطنه بدون نقاش ولا جدال ، عند ذلك خليق بالفلسطيني ان ينسى وطنه . بل ويعق والديه اللذين كانا سببا لوجوده في هذه الحياة التعسة . وعلى ضوء هذه الحقيقة علينا ان نؤمن للفلسطينيين كل ما يمكننا تأمينه من وسائل الراحة والاطمئنان شريطة ان يبقوا حاملين لجنسيتهم الفلسطينية ويجب ان يدرب الفلسطينيون على الاسلحة الحديثة وينشأ من فتيانهم جيش مرابط على الحدود المتاخمة لليهود من الجبهة الامامية ويكونوا دائما وأبدا على اتم الاستعداد والتأهب لمواجهة تلك اللحظة المرتقبة التي ينقض بها العملاق العربي على العصابات الصهيونية الظالمة المعتدية .

هذا بعض ماينبغي ان تقوم به الامة العربية تجاه اخواننا الفلسطينيين .

واجب الفلسطينيين

وأما الشيء الذي ينبغي بل يجب ، ان يتولى القيام به الفلسطينيون انفسهم فهي الامور الآتية :

١ ــ على الفلسطينيين ان ينظموا أنفسهم ويجعلوا لهم كيانا محترما وان يعتبروا أنفسهم كأسرة واحدة وعليهم ان يسعوا جميعا لتأسيس هيئة[1] ويختاروا المكان المناسب لمقر هذه الهيئة . على أن يكون لهذه الهيئة فروع في كل بلاد عربية يسكنها نفر من الفلسطينيين . وهذه الفروع تتألف طبعا من الفلسطينيين انفسهم ويكون لكل فرع دائرة مستقلة وضابط اتصال مرتبط بصورة مستمرة بالهيئة العليا .

٢ ــ على كل فرع من هذه الفروع ان يسعى لاختيار لجنة ويكون اختيار هذه اللجنة عن طريق الانتخاب شريطة ان يكون أعضاء هذه اللجنة من خيرتهم علما وخلقا وفضلا ووطنية وتكون مهمة هذه اللجنة مراقبة سيرة بعضهم لبعض واذا وجدت هذه

(١) الافضل من ذلك هو ماأشار اليه المؤلف في كتابه « كيف ننتصر» أي تأسيس حكومة فلسطينية مؤقتة منتخبة من كافة أبناء فلسطين .

النخبة شذوذا عند أي فرد منهم سواء في سيرته الاخلاقية او في اتجاهه السياسي من الانحراف الذي يسيء الى سمعة هذه الجالية، فعلى هذه اللجنة ان تتولى اصلاح شأنه عن طريق النصح والارشاد فان افاده ذلك فبها والا فعلى هذه النخبة ان ترفع تقريرا بهذا المنحرف الى الهيئة العليا والى سلطة البلاد المحلية التي يقيم بها لتتخذ نحوه الاجراءات اللازمة .

تقدر عظمة الجريمة عندنا بمصدرها لا بضررها

ومما لاشك فيه ان الفلسطينيين كسائر البشر ، لايخلو الامر من ان يكون فيهم الطيب والخبيث وانما الذي تجدر الاشارة اليه، هو ان الفلسطينيين ، كما اشرنا سابقا ، قوم ابتلوا بتشتيت الشمل وتوالت عليهم المحن ، وارهقتهم النكبة وجاءتهم الكارثة بغتة وشوه الاعداء سمعتهم أمام الرأي العام العالمي وأمام الرأي العام العربي واصبحت سيئة الفرد منهم بارزة للعيان اكثر من سيئات غيرهم من الامم التي لم يصب أفرادها كما أصيب هؤلاء المنكوبون .

وانا لنلاحظ ان أدنى انحراف يبدو من احد اللاجئين الفلسطينيين يعتبر جريمة لاتغتفر . بينما لو يرتكب احد غيرهم منا الجريمة نفسها التي ارتكبها الفلسطيني فانه سوف لا يؤبه لها ولا تعتبر جريمة لان مقياس الخطيئة يعتبر عندنا بقدر مصدرها لا بقدر اضرارها بالمجتمع . والامثلة على ذلك كثيرة . واليك نوعا منها :

الكثير من بعض الاقطار العربية ، لاتخلو من وجود جالية من اليهود مقيمين فيها منذ زمن بعيد ، ويتمتعون بكل الحقوق الوطنية التي يتمتع بها أي مواطن من العرب في تلك البلاد . ومن المعلوم

ان اليهود اينما حلوا فانهم سوف يكونون اسياد البلاد من الناحية الاقتصادية ، وأي مواطن كان من ساكني هذه البلاد ، خاصة من الذين يمتهنون الاعمال التجارية ، فانه مضطر ان يخطب ود اليهود بحكم ضرورة عمله التجاري • وانما الشيء الذي نشير اليه ونسترعي كريم انتباه القارىء لملاحظته هو ان المواطن الذي يعامل اليهود لا يجهل انه ما من يهودي في العالم الا وأصله الراسخ في تل ابيب ، ومع هذا فاننا لن نجد من ساكني هذه البلاد من يعيب هذا التاجر المواطن بمعاملته مع اليهود كما يعامل اي تاجر من بني بلده •

وانما لو يأتي لاجىء فلسطيني لهذه البلاد ويتعاطى التجارة فيها ثم يتعامل مع أحد اليهود المسيطرين على رؤوس الاموال فانه سيعاب ويلام • بل سوف تقام عليه الدنيا ، وسوف يكون هـو الشيطان الرجيم ، وهو الخائن الذي باع وطنه لليهود ، الذي لايخجل من التعامل معهم ، بينما التاجر او التجار الذين يتعاملون بصورة علنية من أهل هذه البلاد مع اليهود لايجدون ولن يجدوا من يوجه اليهم أدنى لائمة (١) ، كأن الامر طبيعي لا عيب فيه ولا غرابة فنذهب ونسأل : أكان السبب لذلك يعود من أجل ان المتعامل فلسطيني وان الفلسطينيين يجب أن يقاطعوا اليهود حتى الذين في البلاد العربية ؟ أم كان السبب هو ان العقلية الضيقة تجعل سكان هذه البلاد لايودون ان ينافسهم احد على معاملة اليهود ، حتى ولو كان هذا المنافس من بني امتهم العربية ؟ ام ان السبب الاكبر

(١) كنت في أحد البلاد العربية وشاهدت بعيني مثل هذه الامور .

هو أن الفلسطينيين شوهت سمعتهم أبـواق الدعاية الصهيونية والاستعمارية واصبحت الخطيئة التي تحدث من أي فرد منهم ، تعتبر بعين الاخرين كبيرة حتى ولو كان مرتكبها مقلدا بارتكابه لهذه الخطيئة لنفس اهل هذه البلاد ، ولم يكن مبتكرا لها كمعاملة اليهود مثلا أقول : حتى ولو كان الامر كذلك فان الخطيئة عظيمة وعظيمة جدا .

عندما نوجه هذه الاسئلة وننتظر الاجابة عليها ، فلا نرى جوابا مقنعا الا صوتا صارخا يؤكد ان مصدر هذه العوامل كلها ليس الا الدعايةالاستعمارية والصهيونية التي بثت وباءها في كل شبر من وطننا العربي بدون استثناء .

ولذلك يجب على كل فرد من أبناء الامة العربية بصورة عامة ان ينتبه لهذه الدعاية ويقدر نتائجها الوخيمة لا على الفلسطينيين بل وعلى كافة الشعوب العربية .

كما يجب على الفلسطينيين بصورة خاصة ، ان يكون كل فرد منهم شديد الحذر ، بعيد الاجتناب عن اية شائبة يعاب بها او تؤخذ عليه .

وان يبتعد عن مواقف الريبة ما استطاع . وان يعلم علم اليقين بان درهم الخطيئة الذي يقع سهوا من أي فرد فلسطيني انما يعادل قنطارا من الخطيئة التي يرتكبها غيرهم عامدا متعمدا .

والذي لاشك فيه هو ان الدعاية الصهيونية التي اثرت تأثيرا فعالا على الفلسطينيين من تشويه سمعتهم ومقتهم في كل قطر يحلون

به ، ان هذه الحقيقة المؤلمة لم تكن أخف وطأة وأقل نكبة وأهون بلية من نكبتهم وتشتيت شملهم وسلب عدوهم لديارهم وسفكه لدمائهم •

أجل ان المصائب والكوارث تعظم او تتضاءل اهميتها بقدر المصدر الذي تنبثق عنه •

فالكارثة مثلا اذا جاءت من عدو بعيد فانه بالامكان ان يثبت لها المصاب • ويقاومها بكل صبر وجلد ورباطة جأش مهما عظمت والسبب هو ان المصاب قد يعزي نفسه ويعللها بأن لديه من أهله وذويه مايلوذ به في محنته ويستجير به في كارثته • ولكن المصيبة التي مابعدها مصيبة تكون حتما عندما يتخلى عنه ذووه الذين كان يعتقد أنهم حصنه المنيع • وقد تتفاقم المصيبة ايضا الى مالا نهاية عندما يشمت بالمصاب أهله الادنون وهو في عنفوان محنته ، عندئذ سوف يتقلص منه الايمان ، ويحل محله القنوط واليأس وخيبة الامل • وهذا هو واقع حال اللاجئين الفلسطينيين الذين لم تقف بهم مكيدة الاعداء عند تشتيت شملهم وقتلهم ، بل تعدت الى تصويرهم في نظر العالم أجمع كوباء معد ومكروب فتاك يجب الفرار منه •

ويسوءني جدا أن أذكر نبأ سمعته من طالب في الصف التوجيهي يروي حادثة كما يأتي :

قال الطالب :

« كم تأثرت بالغا عندما رأيت نفرا من زملائي يمتهنون كرامة

أستاذ من خيرة أساتذهم علماً وخلقاً لا عيب فيه ولا ذنب له إلا أنه لاجيء فلسطيني». ويستمر الطالب بروايته المؤلمة فيقول أن الأستاذ المنكوب، كثيراً ما يتصبب وجهه عرقاً ونحن في شدة البرد القارس،

وكثيراً ما يحاول أن يتجلد ويصبر ويصابر بإخفائه للعبرات التي تجيش في صدره من كثرة السخرية والتأنيب الذي يسمعه من طلابه من كلمات نابية من العيار الثقيل. كقولهم «أنتم الذين بعتم بلادكم وأرضكم لليهود. وأنتم الذين فعلتم ما فعلتم». من العبارات التي تجيش بصدور هؤلاء الطلاب الأبرياء تلك العبارات التي التقطها هؤلاء الشباب من الشارع أو من آبائهم، ورددوها بكل أمانة كمحفوظات راسخة في صدورهم لقنوا إياها عن طريق الدعاية اليهودية فرددوها كالموسيقى من حيث لا يدرون، ولا يدرون بأنهم لا يدرون.

وينسى هؤلاء الطلاب، بل وننسى نحن آباء الطلاب أن لهذه الكارثة فضلاً كبيراً على تفاعل الوعي العربي وانطلاقه. ولئن أضرت هذه المصيبة بالفلسطينيين وكانوا هم كبش الفداء، فإنها أفادت الأمة العربية من عدة وجوه. ولما كان كل شيء له حسنات وسيئات، وفائدة ومضرة فإنه قد يكون من حسنات هذه النكبة أن هذا الوعي العربي الجارف، وهذه اليقظة القومية المشتعلة في كل شبر من أراضي الأمة العربية، وتلك الانقلابات التي أطاحت بقوم، علم الله بحالهم، وجاءت بآخرين مخلصين أو موتورين من أثر صدمة النكبة.. كل هذا وذلك كان من سبب النكبة أو مسبباتها.

كارثة فلسطين كانت درسا مفيدا للثورة الجزائرية

ويطيب لي التأكيد بأن أقول: حتى أبطال الجزائر الأشاوس الميامين الذين بيضوا وجه الأمة العربية في هذه الظروف الحرجة.. نعم حتى هؤلاء البواسل نجد أن النكبة الفلسطينية عليهم يداً بيضاء وذلك من ناحية العبرة التاريخية.. ولكي نثبت صحة هذه الدلالة، لابد من موافاة القارىء بما هو آت:

منذ مدة دَخلْتُ إلى منزل الدكتور بركات الكيالي في مدينة طرابلس الغرب فوجدت عنده شاباً جزائرياً. ومن بديهات الأمور أن أحدنا عندما يلتقي بجزائري أو بفلسطيني فإن مدار الحديث سيكون في صميم إحدى هاتين القضيتين، اللتين هما الشغل الشاغل لشعور كل عربي يقظ الضمير[1]، ولذلك كان محور البحث في تلك الجلسة يدور أولاً حول القضية الجزائرية، وبعد ذلك انتقل الحديث إلى القضية الفلسطينية، وما حل بالفلسطينيين من مصائب ونكبات. وكان أهم النكبات التي تطرق البحث إليها

---

(١) كان ذلك في عنفوان ثورة الجزائر، أي قبل أن تنال الجزائر استقلالها.

السمعة السيئة التي ألصقها بها أعداؤهم . وعندما جئنا الى هـذه الناحية انتفض أخونا الجزائري وقال : دعوني أرْوِ لكم ماشاهدته من الشيء المؤلم بهذا الصدد . فتولى الحديث كالآتي :

كنت مندوبا من قبل حكومة الجزائر المؤقتة بمهمة تقضي أن أطوف ببعض البلاد العربية ، وبينما كنت خارجا من حدود حكومة عربية قاصدا العبور الى حدود حكومة اخرى ، حسب التجزئة التقليدية ، في تلك اللحظة ، وجدت فلسطينيا ممنوعا من الدخول لتلك البلاد التي يقصد الذهاب اليها بالرغم من ان ذلك الفلسطيني يحمل في يمينه وثيقة تثبت انه مقيم وأهله في تلك البلاد . وقـد استطرد الجزائري بقوله : لقد حاولت ما استطعت ان أفهم السبب الذي منع من أجله هذا العربي من اتصاله بأهله وعودته اليهم . فلم أجد أي سبب رئيسي الا أنه فلسطيني . وان الفلسطينيين فعلوا ما فعلوا ، ويفعلون مايفعلون من الافساد والتخريب الخ...ومضى صاحبنا الجزائري بقوله : لقد حاولت ان اقنع هذا الغفير قاصدا أن استميل عطفه وأوضح له بان هذا الممنوع من الدخول لاجىء فلسطيني مشرد ، ومستحق للعناية .. والرعاية والعطف والتجاوز عن خطيئته ، حتى ولو كان مجرما ، ومؤكدا للخفير بأن هـذا اللاجىء اذا سلمنا جدلا بأنه مسيء فانه ذاهب في سبيله الى وطن ودوائر هذه الحكومة بالذات ، وبالامكان الاقتصاص منه ومحاكمته وأخيرا أكد الجزائري بان كل تلك الحجج التي أدلى بها لم تردع الغفير من ان يرغم الفلسطيني على العودة من حيث أتى تاركا أهله في بلاد عربية . لاجريمة له الا أنـه فلسطيني شوه سمعتـه

الصهيونيون والمستعمرون وأيّد هذه الدعاية بنو قومه السطحيون.

هذا وقد صرح الاخ الجزائري ، الذي لا زال حيا يرزق بأنه عندما رأى هذا المنظر المحزن ، ذهب ونقل هذه الرواية برمتها وزفها للابطال الجزائريين .

ويقول الراوي اننا كجزائريين أقسمنا على انفسنا بعد ذلك بان نكافح حتى الشهادة ، او الحرية ، والا نذهب ضحية رخيصة للدعاية الاستعمارية ، كما ذهب اللاجئون الفلسطينيون مشردين وممقوتين ومشوهي السمعة في كل دار يحلون بها .

وهكذا نجد الكارثة التي اصابت الفلسطينيين كانت عبرة ودرسا للامة العربية بشكل عام ، وللجزائريين بصورة خاصة .

ترى لو ان المكيدة والمكر اللذين اوحى المستعمرون بهما لعملائهم في حرب فلسطين ، واعني تلك الخطة اللعينة التي قضت بدخول الجيوش العربية لحرب اليهود عام ١٩٤٨ والتي نفذها العملاء من قادة العرب وقتذاك ورفض الاذعان لها مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني وأيد الملك عبد العزيز بن سعود صحة نظرية المفتي ، تلك النظرية التي تشير بوضوح بعدم دخول الجيوش العربية بحرب مع اليهود بشكل رسمي ، وبصورة علنية . وكان رأيا المفتي والمرحوم الملك عبد العزيز بان تكون الحرب مع اليهود حرب مناضلين من المتطوعين ، الفلسطينيين ، ومن كافة البلاد العربية على ان تساعد الحكومات العربية مساعدة فعالة هؤلاء المتطوعين بالمال والعتاد وبالذخيرة ، وان يفتح باب التطوع لكل من شاء الجهاد من افراد الشعب العربي .

ومن أراد ان يجاهد من جنود وقادة الجيوش العربية يدخل في الميدان باسم متطوع • وعلى أساس هذه النظرية تكون الحرب بين العصابات الصهيونية الباغية حــرب شعب مكافح مستميت معتدى عليه في عقر داره او بعبارة اوضح تكون كشبه الحرب الجزائرية الفرنسية • وكان رأي الملك عبد العزيز ، فيرسم هــذه الخطة المحكمة يهدف الى مدى بعيد يتلخص بما يلي :

اذا سلمنا جدلا بان النصر سيكون لليهود في النهاية مع العلم ان ذلك اقرب للمستحيل ، منه للواقع • ولكن اذا تحقق هــذا الحلم المستحيل وانتصر اليهود المجرمون على المجاهدين ، فان انتصارهم بهذه الحالة سيكون اقل عاراً وأهون خزياً ، واخف مصيبة ، واصغر فضيحة واسهل شماتة أمام الرأي العام العالمي من أن يقال ان سبع دول عربية هزمها اليهود المشردون في ارجاء الارض والذين هم أحقر بني البشر خلقا واندلهم سيرة وأشرهم سريرة • ولم يسبق قط أن غلبوا أحدا في حياتهم أبدا بل كانوا دائما مغلوبين ومنبوذين •

أما اذا انتصر الفلسطينيون وهو المحتمل ، وكانت الحرب سجالا فهناك تكون الحجة للعرب بالغة امام الواقع والتاريخ وأمام الامم المتحدة التي تخضع دائما للامر الواقع •

ولكن هذه الخطة الحكيمة ، لم ترق للمستعمرين ومن دار بفلكهم وقتذاك •

لان هذه الفكرة خلاف لما يهوون ولما يريدون فهم يريدون ان

الجيش الذي يحارب اليهود في فلسطين جيش يكون وزير دفاعه رجلا لا يصدر الامر لجنوده باطلاق النار على اليهود • ويكون الجنود عزلا من تلقى الاوامر العسكرية من لدن وزير دفاعهم • والجواب « ماكو أوامر » ويود المستعمرون بعبارة أوضح جيشا يكون رئيس اركانه الجنرال كلوب « ابو حنيك » حتى تكون هذه النهاية المحزنة المخزية فتكون الامة العربية خسرت مجدها التليد الخالد مع خسارتها فلسطين • ولكني اعيد مكررا القول باننا وان كنا خسرنا الحرب ، بفضل الخدعة وعدم اليقظة وخمود الوعي ولكننا ربحنا التجربة • ولولا هذه العبرة التاريخية التي افادتنا جميعا وافادت الجزائريين بشكل خاص ، لولا ذلك لوقع الجزائريون في المشكلة نفسها التي وقع بها الفلسطينيون ولرأينا الدعاية الفرنسية والاستعمارية ، تلعب دورا خطيرا بتشويه سمعة الجزائريين بالرواية التقليدية نفسها وبنفس الدور الخطير نفسه الذي شوه به المستعمرون والصهيونيون سمعة الشعب الفلسطيني• مع الفارق البسيط •

ولكي أثبت صحة هذا المنطق بالادلة التي تؤكد ان الاستعمار الفرنسي شاء ان يمهد لدعايته السيئة ضد الجزائريين ، في نفس الطريقة التي سار عليها سلفه ، لكي أثبت ذلك أراني مضطرا ان أوافي القارىء بما سمعته ورأيته كما يلي :

أكد لي شخص في مناسبة ما بانه سبق ان حج بيت الله اكثر من عشرين حجة •• وانه ناوء أن يحج أيضا باستمرار •

فقلت مادمت قد اسقطت فريضة الحج واصبح الحج بالنسبة

اليك نافلة لا فريضة •• ولذلك أرى لك ان تترك هذه النافلة وتقوم بما هو أهم منها الذي هو بلا شك فرض عين •• واعني مؤازرة المجاهدين الجزائريين فكان جواب صاحبنا الذي لاأشك بسذاجته عبارة لاريب عندي انه تلقنها ، بوحي وايحاء من الدعاية الاستعمارية الفرنسية فرسخت في عقله الاجوف فروعها ورددها كالطفل عندما يسمع كلمة ممن هو أكبر منه بدون أن يعرف معانيها او مصادرها •

وعندما سمعت تلك الكلمة التي أنزه القارىء عن سماعها ، وأكرم يراعي عن كتابتها ، عندما سمعتها قلت : لك الشكر يا الله على موقف الجزائريين المشرف • الذين لازالوا مرابطين في ساحة الوغى ومكافحين لهجمات العدو الغاشم بصورة ترفع رأس العرب جميعا • ثم عدت اخاطب نفسي قائلا ترى لو هزم العدو الجزائريين « لا سمح الله » ايتورع المستعمرون الفرنسيون عن أن يصموا اخواننا الجزائريين بشتى الدعايات المختلفة المزيفة كما فعل اسلافهم الصهاينة بالفلسطينيين ؟ ••

فيأتي لنا الجواب بالتأكيد ••

وبعد •• فانني اود أن اختتم هذا البحث بعبارات قد لايستسيغها النفر الذين أثرت على مداركهم وشعورهم الدعاية الصهيونية بحق الفلسطينيين • ولكنها الحقيقة التي يثبتها التاريخ والتي شهد بها واستدل على صحة وجودها أعظم قائد في عصرنا هذا وهو الزعيم الالماني الهر هتلر الذي شهد للفلسطينيين بالبطولة في عبارة سوف اقدمها للقارىء في مكانها المناسب في نهاية بحثنا هذا •

والشيء الذي أود أن أشير اليه وأعلن رأيي به عن عقيدة وايمان ، وأقولها بصراحة وأنا أعني ما أقول ، هو ان الفلسطينيين لو تركوا وشأنهم يتحاربون هم وشرذمة اليهود ، وجها لوجه ، بدون ان يتدخل في قضيتهم محترفو السياسة من صنائع الاستعمار ، نعم لو صح لهم ذلك واخلي سبيلهم في وطنهم ، كما هو الامر الواقع في وضع الشعب الجزائري ، لو تم ذلك لرأينا للفلسطينيين موقفا بطوليا لايقل روعة وشجاعة عن موقف بني عمهم الجزائريين • اقول ذلك وأنا وطيد الثقة باني سأجد من السطحيين السذج من يفند رأيي هذا ، وخاصة ، ممن أثرت عليهم دعاية الاعداء ، او الذين لايعرفون جيدا تاريخ هذا الشعب • ولكن الذي يعلم ان هؤلاء النفر هم سلالة وأحفاد أولئك الابطال الذين يعود الفضل لهم بالوقوف في وجه الغزاة الصليبيين في حملاتهم المتوالية ، ان من يعرف ذلك سوف يؤيدني برأيي لامحالة• أجل اليس هؤلاء الفلسطينيون هم أحفاد اولئك البواسل الاشاوس الذين قادهم صلاح الدين الايوبي حتى طهر المسجد الاقصى من الاحتلال الصليبي ؟

أو َليس هؤلاء المشردون هم الذين كان قادة السلطنة العثمانية يشهدون لهم بحق ان الفلسطينيين بصورة عامة وساكني نابلس بشكل خاص هم أشجع الجيوش التي كانت تحت سلطة الاستعمار التركي وقتذاك على مختلف اجناسها • اما كان هؤلاء المنبوذون اليوم ، هم الذين صمدوا أمام الاحتلال البريطاني بثوراتهم التي استمرت ثلث قرن • وهم يحاربون جيش الاحتلال البريطاني من

جانب ، والعصابات الصهيونية من الجانب الآخر بدون ان تلين لهم قناة •

ولمــا كانت الشهادة اذا جاءت من العدو يكون لهــا مفعول ايجابي اكثر منها اذا كانت من صديق ، كما جاء به المثل القائــل «والفضل ما شهدت به الاعداء» فانه ليحسن بنا ان نورد بهــذا الصدد شهادات عديدة منها ماهو من قائد انجليزي وهذا بلا شك عدو لدود ، ومنها ما هو من الزعيم الالماني هتلر وهو محايد، ومنها ما هو من قائد تركي •• كل هذه الادلة نوردها كتأييد لما أشرنــا اليه نقلا عن صحيفة « الليبي » في عددها ١٣٤ لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ المحامي علي الديب ، رئيس المجلس التنفيذي لولاية طرابلس الغرب حاليا •

والى القارىء المقال حرفيا في الفصل الآتي •

دفاع الفلسطينيين عن بلادهم

٢ ـ وكانت التهمة الثانية ان عرب فلسطين لم يدافعوا عن بلادهم .. وهي فرية لا ظل لها من الحقيقة فالناس جميعا يعلمون كيف كافح اهل فلسطين اليهود والانجليز معا مدة ثلاثين عاما ، لم يقهروا خلالها أبدا رغم كثرة القوات البريطانية وقوات الشرطة المحتلة وقوى اليهود المنظمة . وليس بخاف على أحد استبسال المجاهدين الفلسطينيين في الذود عن وطنهم واقدامهم على التضحية وبيعهم نفوسهم بيع السماح في سبيل الله ، حتى شهد لهم بذلك العدو والصديق . ورفعوا بجهادهم اسم العرب عاليا في العالم . فمن ذلك ماذكره المرحوم محمد رستم حيدر وزير مالية العراق الاسبق لبعض زائريه في لبنان عندما كان راجعا من اوروبا صيف ١٩٣٩ بقوله لقد كنا في زيارتنا الماضية لاوروبا نتحاشى التظاهر بأننا عرب . ولكننا هذه المرة ، بعد جهاد عرب فلسطين وبطولتهم التي طبق ذكرها آفاق أوروبا أصبحنا نفخر بعروبتنا وصرنا نلقى من الاوروبيين كل اجلال واحترام .

هتلر يستشهد بجهاد عرب فلسطين

ومن ذلك ماقاله هتلر للسيد خالد القرقني مستشار المرحوم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، في مقابلة رسمية له عام ١٩٣٨ من انه معجب كل الاعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم . وكذلك جاء في بيان رسمي وجهه هتلر الى الالمان في السوديت حينما كانوا يحاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ والانضمام الى المانيا مامعناه : اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم ، انهم يكافحون انكلترا اكبر امبراطورية في العالم واليهودية العالمية معا ببسالة خارقة ، وليس لهم في الدنيا نصير او مساعد أما أنتم فانني أمدكم بالمال والسلاح . وان المانيا كلها من ورائكم .

ماكتبه الجنرال ولسون عن مجاهدي فلسطين

وقد جاء في كتاب ألفه الجنرال هنري ميتلاند ولسون الذي اشترك في المعارك ضد عرب فلسطين قبل ان يتولى قيادة القوات البريطانية في مصر ثم منطقة البحر الابيض المتوسط ذكر مستفيض لبطولة عرب فلسطين خلال المعارك الدامية التي جاهدوا فيهـا القوات البريطانية اذ ذكر ما خلاصته :

« ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ويقومون بحرب العصابات لايمكن التغلب عليهم باقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح « اي خمسة عشر الف جندي » •

الفلسطينيون في غزة يهزمون الانكليز

وفي الحرب العالمية الاولى عندما صمد لواء واحد من الجيش العثماني مؤلف من أقل من ثلاثة آلاف جندي فلسطيني في وجه فرقتين بريطانيتين امام غزة وكبدهما خسائر فادحة وارغمهما على التقهقر حتى العريش عام ١٩١٧ اصدر احمد جمال باشا القائد التركي الذي اشتهر بخصومته للعرب ، بيانا أشاد فيه بالشجاعة الفذة التي ابداها اولئك الجنود الفلسطينيون في غزة أمام اضعاف اضعافهم من جنود الاعداء . وانها بسالة خارقة تذكر بالشجاعة التي أبداها آباؤهم من قبل عندما حموا هذه البقاع المقدسة بقيادة صلاح الدين الايوبي .

وكذلك اعترف كثيرون من أقطاب العرب وزعمائهم بشجاعة الفلسطينيين ومبلغ مابذلوا من جهود ، اثناء المعارك الاخيرة التي وقعت عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨

واني لآسف اذ أضطر للاستشهاد بمثل هذه الاقوال والتصريحات بالثناء على أهل فلسطين في مجال الدفاع عنهم ببيان الحقائق التي حاولت الدعايات الاجنبية ودوائر المخابرات البريطانية واليهودية العالمية ان تطمسها بما سخرت من الصحف المأجورة والالسنة الخراصة لتشويه سمعة الفلسطينيين واظهارهم على غير حقيقتهم .

براعة الفلسطينيين في حرب العصابات

ولا شك ان كل منصف يعترف بان مجاهدي فلسطين لم يغلبوا على أمرهم ولم يقهروا في ميدان الكفاح حينما كانوا يحاربون اليهود والانجليز معا بحرب العصابات التي حذقوها والتي هي اجدى وانجح في مكافحة الجيوش النظامية .. واعظم أثرا وأقل نفقة .. وبحرب العصابات القائمة على أسس التضحية والاستماتة والبسالة استطاع الفلسطينيون ان يقضوا امضاجع الاعداء أمداطويلا .. وان ينزلوا بهم الخسائر الفادحة .. واستطاعت حركة الجهاد الفلسطيني في اعوام ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ ان تسيطر على معظم الاراضي الفلسطينية بل عليها كلها اذا استثنينا قليلا من المدن التي انحصر الجنود الانجليز داخلها وقتا غير قليل في انتظار النجدات .

هذا واني أرى أن البحث بهذا الموضوع يحتاج الى شرح اطول وعناية اكثر .. واني لارجو ان يتولى من حملة الاقلام المخلصين

من امتنا العربية نفر يقومون بهذا الواجب على الوجه الاكمل • على أن تقابل الدعاية الصهيونية الكاذبة بدعاية عربيـــة صادقة صحيحة • وانه لمن العجز والخطأ أن تكون الصهيونية وزبانيتها نشيطة ومتفانية بباطلها ، ونكون نحن متكاسلين وخاملين بحقنا النير الواضح •

لماذا لم يحرر الفلسطينيون بلادهم كالجزائريين ؟

قبل أن اجيب على هذا السؤال ، يحسن بي أن أقول :

لقد هزم الفلسطينيون ، نفسيا ومعنويا وأدبيا قبل ان يهزموا عسكريا ، وذلك ان العدو شن عليهم حرب الدعاية ، قبل ان يشن عليهم هجومه العسكري ، وراحت تلك الدعاية الموبوءة تلعب دورها الخطير في كل قطرعربي ، وكانت غايةالاستعمار والصهيونية ملخصة بما يلي :

١ ـ تحطيم شخصية الفلسطيني ، حتى يفقد ثقته بنفسه اعتقادا منهم انه اذا مافقد الفلسطينيون ثقتهم بانفسهم فلن يبقى امامهم أي عربي يفكر بالنضال والكفاح ، عندما يفقد اصحاب الحق الثقة بأنفسهم ، ويتخلون عن التضحية في سبيل تحرير بلادهم المغصوبة .

٢ ـ احتقار الشعوب العربية لهم ، من أجل الغاية الآتية :

منها ان الفلسطيني اذا رأى أخاه العربي ينظر اليه نظرة احتقار وكره ، فانه بطبيعة حاله سوف لا يتردد البتة في المقابلة بالمثل ،

فتكون النتيجة اضرام نار العداوة والحقد بين الجانبين ، حتى تصل المسألة الى درجة يستحيل فيها التفاهم •• وعندئذ سوف تنعدم الثقة بين الاخوين ، وساعتذاك سوف لايجد الفلسطيني ، من الدول العربية وشعوبها أية مؤازرة ، حتى ولو قام العرب بحرب ضد اليهود ، والثقة مفقودة بينهم وبين الفلسطينيين ، فان العرب لاتعتمد عليهم ، لانهم بحسب الدعاية الصهيونية « خونة جواسيس » « باعوا بلادهم لليهود وادّعوا انهم مظلومون ومشردون » ، واذن يجب ان لايشاركونا في الحرب ، واذا شاركنا أحد منهم ، فيجب ان نكون منه على حذر ، حتى ولو عرفناه انه حر أبي شجاع شريف ، فكل هذه المعاني ، لم تشفع له ولن تشفع ، مادام انه فلسطيني ، وعند ذلك تكون دعاية العدو ، التي اعطت أكلها شهيا في عام ١٩٤٨ ، عندما منعت الدول العربية الفلسطينيين من توحيد قيادة لهم ، لمحاربة العدو ، بل وبلغ الامر ان بعض الدول العربية سحبت السلاح ، من ايدي الابطال الفلسطينيين ، متهمة اياهم بشتى التهم ، التي اوحاها اليهم العدو فتلقاها مغفلو العرب ، كما يتلقى المسلم المؤمن آي الذكر الحكيم •

مع كل أسف أقول : اذا تكررت دعاية ١٩٤٨ ، واعاد التاريخ نفسه ، فيكون العدو قد بلغ امنيته ونكون نحن مازلنا منذ ١٩٤٨ الى يومنا هذا ونحن ندور في حلقة مفرغة تثير الدنيا ضجيجا ، معلنينها صرخة مدوية ، بأننا سوف نحرر الارض الفلسطينية المغتصبة ، في الحين الذي نحتقر فيه اصحاب الارض أنفسهم وننبذهم وتتهمهم بشتى التهم التي نقلناها ورويناها عن ألدّ

اعدائهم ، بدون ان يكون لنا من الوعي مايجعلنا تتدبر مصدر هذه التهم ، وبدون ان يكون لنا من العقل مايجعلنا ندرك بأن اشاعة تلك التهم بيننا ، وترديدها بكل مناسبة وبدون مناسبة أمر من شأنه ان يجعل الحق كل الحق ، للعدو المغتصب ..

فأنت يا أخي العربي ، عندما تقول ان الفلسطيني ، باع أرضه لليهود ، وادعى انه مشرد ، فمعنى ذلك ان كل مايقوله العرب بشأن مطالبتهم بأرض فلسطين المغتصبة ، انما هو قول باطل ، وان اليهود لم يكونوا غزاة مغتصبين وانما هم رجال اشتروا الارض من اصحابها بأموالهم (ومن اشترى فقد ملك) .

واذا بلغت بنا الدعاية الصهيونية الى هذه الدرجة ، فهذا يعني اننا نخادع انفسنا ، عندما نقول اننا سوف نحارب من اجل ان نأخذ بيد مليون ونصف لاجىء من الفلسطينيين ونعيدهم الى بلادهم ، أو بالاحرى سوف نحكم على أنفسنا بأنفسنا ، بأن كل ماتتحدث به ، فانما هو كما يقال ، من باب الاستهلاك المحلي .

وما علينا الآن الا أن نجيب القارىء على سؤاله ، ولكن قبل ان نجيبه على ذلك السؤال ، وخاصة ماجاء بالجملة الاخيرة من الاستفهام الذي يقارن به السائل ، بين قدرة الجزائريين وشجاعتهم وبين استطاعة الفلسطينيين الخ .. قبل الاجابة على ذلك أود ان أوجه الاسئلة الآتية :

ســـؤال وجـواب

س ١ ــ هل الفرصة التي أتيحت للجزائريين ، أتيحت في الوقت نفسه للفلسطينيين ؟ وهل الظرف الذي قام به الجزائريون ، مماثل للظرف الذي حدثت به نكبة الفلسطينيين ؟ •

س ٢ ــ وهل القيادة الموحـدة والمنظمة التيتولى أمرهـا الجزائريون ، من أنفسهم بأنفسهم ، من نوع القيادة التي ابتلي بها الفلسطينيون ؟ •

س ٣ ــ وهل كان عدد الفلسطينيين مماثلا لعدد الجزائريين ؟•

س ٤ ــ وهل ترك للفلسطينيين المجال ، ليقاتلوا وليكافحوا كما يريدون على النهج الذي سار عليه اخوانهم الجزائريون ؟••

هذه الاسئلة ينبغي الاجابة عليها ، واحدا واحدا •

ج ١ ــ ولنبدأ بالسؤال الاول فنقول : ممـا لا شـك فيه ان الفرصة الذهبية ، التي أتيحت للجزائريين تختلف بمفهومها الواقعي اختلافا كليا عن الفرصة التي واجهها الفلسطينيون، وكذلك الظرف الذي قام به الجزائريون ، يختلف كل الاختلاف عن الظرف الذي

نكب به الفلسطينيون ، وهذا الاختلاف الزمني والمعنوي ، يأتي كما يـلي :

منها انه في الوقت الذي اندلعت فيه ثورة الجزائر كانت الدول العربية تتمتع بالاستقلال ، ولا سيما الدول المتاخمـة للجزائـر كمراكش وتونس وليبيا ، بالاضافة الى مصر والسودان ..

وقد كانت هذه الدول وشعوبها تعيش مع الثورة الجزائريـة روحاً ودما ولحما ، لا من حيث امدادها للثورة بالمال والسلاح .. ليس هذا فحسب ، لان هـذه المعاني ساهمت فيها جميع الـدول العربية وشعوبها مساهمة فعالة، بل لانتلك الدولالعربية، المتاخمة للجزائر محصورة مهمتها بتأمين المواصلات وتسهيل وصول كل ما تحتاجه الثورة من الامور الضرورية ، سواء منها المواد الغذائية ، او أسلحة الحرب . ومنها ان ثورة الجزائر ، جاءت في الحين الذي كان الوعي العربي قد هب من سباته وانطلق من عقاله ، اثر كارثة فلسطين ، وكان لا يزال يسير في طريقه الى القمة . فجاءت ثورة الجزائر ، فأذكت شعلة الوعي العربي ، شعوبا وحكومات ، فذهب كل شعب من الشعوب العربية ، ينافس أخاه الثاني فـي ميدان التبرع للثورة الجزائرية ، كما راحت كل حكومة من الحكومـات العربية ، تنافس شقيقتها الاخرى ..

هكذا كانت ثورة الجزائر ، من حيث الفرصة المواتية ، بالنسبة للدول المتاخمة للجزائر بصورة خاصة ، وبالنسبة للدول العربية المتاخمة لفلسطين ، كسورية ولبنان ، ومصر ، وشرقي الاردن .

فرق كبير بين الشقيق الأسير الأعزل والشقيق الحر المسلح

ويؤسفني أن أقول ان الفرق بين الدول العربية المتاخمة للجزائر، وبين بعض الدول العربية المتاخمة للفلسطينيين في ذلك العهد ، أشبه ما يكون بالفرق بين رجل له جيران ، ان مرض سهروا لمرضه، ودأبوا على علاجه ، وان افتقر واسوه ، وان أصيب بغائلة من غوائل الزمان ، جبروا عثرته ، وهـذا الوصف منطبق علـى الجزائريين وجيرانهم السالفي الذكر ، وبين رجل له جيران ، ينقسمون الـى ثلاثة أقسام : قسم اذا مرض جاره فانه لا يملك القدرة على علاجه، لانه هو الآخر لا يزال في دور النقاهة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لان وضعه الاقتصادي لا يساعده على ان يدفع له ، العلاج الشافي الكافي ..وهناك القسم الثاني ، الذي عندما رأى جاره مصابا بمرض خطير مزمن ، وفقر مدقع ، حاول ان يبذل كل ما لديـه ، من القدرة بفعل الاسباب المؤدية ، الى برء جاره ، كما حاول ان لا يدخر وسعا ، من الأخذ بيده مما يعانيه جاره، من الفاقة والبؤس.. ولكن محاولته باءت بالفشل لا لكون وضعـه العائـلي متفكك الاطراف ، ويحتاج الى الاصلاح الكامل ، من الاسفل الى الاعلى..

لا ، ليس من أجل ذلك فقط ، بل ولانه هو نفسه مكبل بالقيود ، التي كان اهتمامه بتحطيمها آخذاً من وقته القدرة كل القدرة ، على اسعاف جاره من مرضه ومواساته من بؤسه ، وهذه حال مصر أيام النكبة وأثناءها ..

أما القسم الثالث ، أعانه الله ، وان كان عربيا عريقا بعروبته ويدرك ما للجار من حق وواجبات في العرف العربي ، في الاسلام ، وحتى في الجاهلية ، ولكنه مغلوب على أمره وأعجز من أن يحمي جاره ، والسبب في عجزه غير خاف على ذوي الفطنة ، وذلك لانه هو الآخر ضيف عند مضيف لئيم بخيل ، ومستجير بحمى دنيء متغطرس ، لم يجبره بحافز النخوة والمروءة ، وانما أجاره ليستعبده ، وضيّفه ليدفع له الضيف ، ثمن ضيافته لا من ماله ، بل من شرفه ومن كرامته ومن وطنيته .

هكذا كانت حال الجار الرابع وأعني به الاردن ، لا يملك من القدرة على نجدته لجاره شيئا ..

هذه صورة موجزة عن الدول المتاخمة للفلسطينيين في عام ١٩٤٨ لتقارن بها أيها القارىء بينها وبين الدول المتاخمة للجزائر عام ١٩٥٤ ..

***

وأما الجواب على السؤال الثاني ، الذي يتطلب معرفة ما اذا كانت قيادة الفلسطينيين موحدة ، كما هي الحال في قيادة الجزائريين الموحدة المنظمة ، فالجواب على ذلك كالآتي :

فروق بين القيادة الموحدة والقيادة المبعثرة

ج ٢ ـ كانت قيـادة الجزائريين موحدة ، سواء مـن الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية ، فمن حيث الناحية العسكرية فقد وزعت قوة المجاهدين الى أربع قطع أو كما يقال أربع ولايات، وعلى كل ولاية قائد برتبة عقيد ، وعلى الجميع رئيس أركان تتلقى هذه القيادات الاربع أوامرها منه ، اذا اقتضى الامر •• هذا مـن الناحية العسكرية ، أما من الناحية السياسية ، فقد كان للجزائريين مجلس وطني (كبرلمان) أو مجلس أمة ، وهذا المجلس ، هو الذي يسن القوانين التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وهو الذي تنبثق منه سياسة الثورة الجزائرية ، ورجال هذا المجلس منتخبون مـن قبل الثوار الاحرار الجزائريين انتخابا حرا لا مجال للتلاعب فيه •• ومن هذا المجلس القادة العسكريون والسياسيون •• وقد تأسس هذا المجلس منذ اندلاع الثورة أي قبل تأسيس الحكومة الجزائرية الموقتة بأربع سنوات ، وكان المجلس هو السلطة العليا ، حتى بعد تأسيس الحكومة ، وحتى رئيس الحكومة والوزراء ، اذا عقد المجلس ، فان أصواتهم لا تعدو ان تكون كصوت أي واحد مـن

أعضاء المجلس الوطني •• يضاف الى ذلك ان رجال الثورة الجزائرية وزعوا أعمالهم ووكلوا ، لكل مواطن منهم ، العمل الذي يمكن ان يكون انتاجه فيه أكثر فائدة ، فمن يكون انتاجه في المجال السياسي أكثر فائدة للثورة منه في المجال العسكري ، هيؤوا له مجالا بالسياسة ، يمكن ان ينتج فيه ، ومن يكون نشاطه في المجال العسكري أكثر انتاجا منه في المجالات الاخرى ، فسحوا له المجال الذي يستطيع ان يفيد الثورة •• كما وضعوا في كل قطر عربي لهم مكاتب ، بل وحتى في بعض البلاد التي يمكن الاستفادة منها ، وان كانت ليست عربية كتركيا مثلا •• وكانت تلك المكاتب تقوم بنشاط لا يقل عن نشاط أية ممثلية من ممثليات احدى الدول العربية ••

هذه صورة مصغرة عن توحيد القيادة الجزائرية، وعن تنظيماتها من حيث القيادة العسكرية والسياسية ••

***

ولنرجع الى ما كان عليه الفلسطينيون في عام ١٩٤٨ ، أي في بداية النكبة ، ليتضح للقارىء ، مسافة المدى البعيد ، بين توحيد وتنظيم الرجال في الثورة الجزائرية ، وبين ما ابتلي به الفلسطينيون، من قلة التوفيق ، لا من حيث عدم اتحاد القادة العسكريين ولا من حيث اتحاد القادة السياسيين •

أجل ، لقد كانت قيادة المجاهدين الفلسطينيين مبعثرة ولم يكن بين بعضها البعض أي رابط ، وكانت كل قيادة منفردة بأوامرها ، فلا اللجنة العسكرية التي في دمشق ويرأسها اللواء اسماعيل صفوت وطه الهاشمي راضية عن الهيئة العربية العليا التي يرأسها المفتي

الحاج أمين الحسيني ، ولا هذه راضية أو متفقة مع تلك ، ولا قيادة جيش الانقاذ التي يرأسها فوزي القاوقجي متفقة مع قوات الجهاد المقدس التي كانت خاضعة لاوامر الشهيد المرحوم عبدالقادر الحسيني ، بل وحتى عبد القادر الحسيني لم يكن في آخر أمره ، على اتفاق معابن عمه الحاج أمين، ناهيك بالقيادات الاخرى الموزعة المتفرقة هنا وهناك ، والتي وان كان بعضها أو الكثير منها يتلقى معونته وتجهيزه العسكري من رئيس الهيئة العربية العليا المفتي الحاج أمين ، ولكنه مستقل بأوامره العسكرية ، كأبي ابراهيم الصغير وأبي ابراهيم الكبير ومحمود الصافوري وحسن سلامة وابراهيم بودي وغيرهم من القادة الذين لم يكن بينهم أي ارتباط عسكري ..

ولا يفوتنا الانتباه الى ان الحاج أمين الحسيني الذي هو من أنشط وأقدم وأبرز العاملين لبلده فلسطين ، هذا الرجل لم يحالفه التوفيق. واذا أردنا أن ننصفه طاب لنا ان نقول : لقد بذل الانجليز ومن سبح في بحيرتهم من الصهاينة ، أقصى ما يمكن ان يبذله عدو لدود لعدوه للحيلولة دون أدنى نشاط يقوم به هذا الرجل ، فحاول أن يدخل بلاده فلسطين عن طريق مصر ، وذهب فعلا الى غزة ، ففعل الانجليز كل وسائط الضغط على حكومة محمود فهمي النقراشي بمصر حتى أرغموها على سحبه من غزة بالقوة ، لئلا يكون بينه وبين المجاهدين أي اتصال مباشر .

وبذل المفتي أقصى ما يملك من الجهد منأجل ان تتألف حكومة فلسطينية مؤقتة ، فوقف بعض رجالات العرب له بالمرصاد بوحي

وتصميم من الانجليز خوفا من أن تقوم الحكومة التي يطالب بتأليفها المفتي بالدور ذاته الذي قامت به الحكومة الجزائرية المؤقتة، فنجحت مساعي الانجليز ومن انغمس بلجة بحيرتهم ، وخابت مساعي المفتي ، بل ماتت في مهدها ..

ولعل ما ذكرناه باختصار يعطي صورة واضحة المعالم عن التباين التام بين تنسيق القيادة العسكرية ، وتنظيم الشؤون السياسية والادارية للثورة الجزائرية ، وبين الفوضى الضاربة أطنابها بقيادة المجاهدين الفلسطينيين ، تلك الفوضى التي لم يكن مصدرها الفلسطينيين أنفسهم ، وانما كان أساسها ورأس بلائها الاستعمار البريطاني وصنائعه اليهود .

من هذا التباين الواضح الذي لا يحتاج الى دليل ، بين ثورة الجزائريين وبين نكبة فلسطين ، يستطيع القارىء أن يدرك التوفيق الذي حالف الأولين ، كما يدرك مقدار المشاكل والعلل القاتلة التي ابتلي بها الفلسطينيون ..

وما لنا بعد ذلك الا ان نجيب على السؤال القائل : هل عدد الفلسطينيين مماثل للجزائريين ؟. والجواب على ذلك سيكون مختصرا للغاية موضحا كما يلي :

ج ٣ ــ وهو عندما يقال ان عدد الجزائريين كان عام الثورة أحد عشر مليونا ، يقال في الوقت نفسه ان عدد الفلسطينيين عام النكبة كان يقارب مليونا ونصف المليون .

ومهما كان عدد الجزائريين كثيرا فاننا لا يمكن ان نقول ان

انتصار الجزائريين جاء نتيجة لكثرة عددهم، اذ لو كانت كثرة العدد والعدة عاملا أساسيا بالانتصارات العسكرية لكان الاحرى أن يكون النصر للجيش الفرنسي ، ومن ورائه حلف الاطلسي . وما يقال عن الجزائريين من ان انتصارهم لم يكن العامل الاساسي فيه هو كثرة عددهم بقدر ما هو قوة ايمانهم وثباتهم وبـذل أقصى مـا يملكونه من التضحية ، وبقدر ما توفر لهم من العوامل الايجابية .. وأهم هذه العوامل هو كما أسلفنا ، سنوح الفرصة المواتية سواء من حيث الزمان او المكان ، او من حيث اتحاد القوى الثوريـة ، والتنظيم العسكري، والحنكة السياسية والمهارة الادارية .. قلت : اذا صح ان يقال ذلك بحق الجزائريين تحتم علينا ان نقول أيضا ان النكبة التي حلت بالفلسطينيين لم تكن ناتجة عن قلة عـددهم بقدر ما هي ناتجة عن عدم توفر الاسباب والامكانيات التي توفرت للجزائريين ، علما بأن التضحية التي قدمها الفلسطينيون من الشهداء والجرحى والمشردين قد لا تقل عما قدمه أبناء عمهم الجزائريون، فيما اذا أخذنا بالاخبارية القائلة ، ان عـدد الشهداء الجزائريين مليون ، وأخذنا بما يقال أيضا ، ان عدد الفلسطينيين بين شهيـد وجريح ومشرد ، يقرب من المليون .. اذا أخذنا بهذين القولين ، ثم أضفنا عدد نفوس الجانبين ، اتضح لنا ساعتذاك ، ان مجموع ضحايا الفلسطينيين يزيد بلا شـك ، علـى ضحايا الجزائريين . والفرق بين الشقيقين ، هو ان الجزائريين بذلوا دماءهم الزكية ، قربانا لاستقلالهم واستخلصوا حريتهم واستقلالهم، من فكي الاسد، بفضل توفر العوامل التي أوردناها آنفا ... بينما الفلسطينيون

بذلوا هم الآخرون أرواحهم الطاهرة على مذبح الحرية وبذلوا أقصى ما يملكونه من التضحية ، ولكن خانهم الجد ، بسبب عدم توفر أدنى عامل من العوامل الحية الفعالة التي توفرت لأشقائهم الجزائريين ، فراح هؤلاء ينشدون بفخر واعتزاز وزهو ، قول الشاعر زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وذهب الفلسطينيون يرددون بكل أسى وحزن وحسرة وغبن ، قول الشاعر : رب السيف والقلم، المرحوم محمود سامي البارودي :

وما أنا بالمخذول دون مرامه   ولكنه قد يخذل المرءَ جدُّه

واليك بعد ذلك الجواب على السؤال الرابع القائل : هل ترك للفلسطينيين المجال ليقاتلوا الخ..

كان الفلسطينيون مكبلين بالاصفاد ولا حول لهم ولا طول

ج ٤ ـ لقد حرص المستعمرون الانجليز في المرحلة الاولى كما حرص الامريكان في المرحلة النهائية ، حرص كل منهما على ان يوعز الى من يأتمر بأمرهما من بعض الحكام العرب ، بأن يقضوا على أي نشاط يقوم به الفلسطينيون وان يشلوا حركتهم نهائيا ، وان يشوهوا سمعتهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا •

وبسبب هبوط الوعي العربي وقتذاك ، وجد المستعمرون من حكام العرب من ينفذ ارادتهم • وهكذا سعى أولئك الرجال أو أشباه الرجال ، سعوا وبذلوا كل ما يملكونه من الجهد لكي ينقلوا القضية الفلسطينية من يد أهلها ويضعوها بيد أولئك الذين لا يعيشون على مستوى القضية ، ولا يتألمون لآلامها كما يتألم لها أهلها الاصليون ، او بعبارة أصح أراد المستعمرون ان ينقلوا القضية الفلسطينية من يد أهلها الى يد أناس يركن العدو اليهم بالملمات والمحن •

***

أ ـ شاء الفلسطينيون ان يتولى قيادتهم رجال من أنفسهم

بأنفسهم ، ان أمكن ذلك ، والا فتكون القيادة بيد رجال من القادة العرب المعروفين بنزاهتهم واخلاصهم ، فجاءت النتيجة عكسية ، اذ تولى رئاسة أركان الجيوش العربية الجنرال جلوب «أبو حنيك» الانجليزي بدمه ولحمه ، وبخبثه ومكره ، وبعقليته الاستعمارية ، وذلك بفضل مساعدة بعض الحكام العرب •

ب ـ باع الفلسطينيون حلل نسائهم واشتروا بثمنها سلاحا ليدافعوا دون تربة وطنهم ، فراح رئيس أركان الجيوش العربية الجنرال جلوب يطاردهم في كل مكان ويسحب السلاح من أيديهم، خاصة بعد الهدنة الاولى بحجة انه يخشى أن تخرق الهدنة من قبل المتطوعين الفلسطينيين ، بينما الحقيقة انه يخشى على اسرائيل صنيعة حكومته بريطانيا من أن يسحقها الفلسطينيون متى فسح لهم المجال أن يجاهدوا ويناضلوا دون بلادهم ومحارمهم كيف يشاؤون •

ج ـ أراد مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني اللسان الناطق باسم الفلسطينيين وقتذاك، أراد ان يدخل فلسطين من ناحية الجنوب لينظم صفوف المجاهدين وليتولى امدادهم والاشراف عليهم من قرب ، ولكن ما ان علم الانجليز بوصوله الى غزة ، حتى اصدروا أمرهم الى رئيس الحكومة المصرية السيد محمود فهمي النقراشي، بان يسحب المفتي من غزة ، لئلا يكون له ادنى نشاط في قلب وطنه ، فما وسع رئيس حكومة القاهرة المغلوب على أمره وقتذاك ، الا أن نفذ ماأمره به السادة ، وهو صاغر ، فأصدر امره عسكريا بان يسحب المفتي بالقوة ، فجيء به مخفوراً يرافقه ثلة من الجنود المصريين مدججين بالسلاح •

د ــ أراد المفتي مرة ثانية ان يدخل بلاده من ناحية الشمال • ليذهب الى صفد ويتمركز هناك ، عندما منعه النقراشي من دخوله من ناحية الجنوب ، فعلم الانجليز بذلك ، فاوعزوا الى آمر سرية جيش الانقاذ الذي يتولى حمايةمدينةصفد !!! وهو الضابط ساري الفنيش المتخرج من مدرسة الجنرال جلوب ــ والمخلص له الى أبعد حدود الاخلاص !!! أوعز الانجليز الى ساري ليتخلى عن دفاعه عن مدينة صفد !!! ويستلمها اليهود ، فنفذ ساري ــ ورفيقه أميل جمعيعان الذي كان هو الآخر من نوع ساري بتابعيته « لجلوب » بل اسوأ منه ــ فنفذا ماأمرهما به رئيس أركان الجيوش العربية الجنرال جلوب !!! فتم تسليم صفد لليهود ، تلك المدينة الحصينة •

هـ ــ حاول مفتي فلسطين الحاج أمينالحسيني انيحضر مؤتمر عاليه ، الذي عقده ممثلو الدول العربية في ٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٧ ــ وعندما علم الانجليز اوعزوا لرئيس حكومة العراق ، السيد صالح جبر بصفته الممثل لحكومته في ذلك المؤتمر ، بأن يسعى بابعاد المفتي عن حضور المؤتمر ، ولم يدخر وسعا صالح جبر من بذله اقصى مالديه من الجهد ليبعد المفتي عن حضور المؤتمر ، وشاءت جهود جبر ان يحالفها التوفيق(١) لولا ان رئيس حكومة لبنان السيد رياض الصلح دافع دفاعا شديدا دون تنفيذ رغبة صالح جبر ، بل رغبة السادة الانجليز ، محتجا أي رياض الصلح بأن حكومة لبنان هي الحكومة المضيفةلرجالذلكالمؤتمر •

---

(١) النكبة ــ ج ــ ١ ــ لعارف العارف صفحة ١٥

وما علينا الآن الا ان نلقي سؤالنا التالي :

ترى هل الظرف الذي أملى به الانجليز ارادتهم على رئيس وزراء مصر ونفذها ذليلا صاغرا بطرده للمفتي بالقوة العسكرية ، هل يقارن بالزمان الذي قامت به الثورة الجزائرية ؟ وهل يستطيع رئيس حكومة القاهرة في سنة ١٩٥٨ ان يطرد ممثل حكومة الجزائر من ارض مصر ، أو ان يشل حركته ، أو يجمد نشاطه بالاسلوب نفسه الذي قام به رئيس حكومة مصر عام ١٩٤٨ ؟ طبعا لم يستطع ولن يستطيع ، وليس الامر بذلك عائداً الى تبدل الحكام بقدر ما هو عائد الى تطور الوعي الشعبي العربي .

الفضل يعود لنمو الوعي العربي ويقظته

وما يقال من ان انطلاق الوعي العربي ، ونمو اليقظة العربية،هما العاملان الاساسيان اللذان جعلا رؤساء الحكومات العربية ورئيس حكومة القاهرة ، يقفون في سنة ١٩٥٨ موقف التحدي لدول الاستعمار في مناصرتهم وتأييدهم لحكومة الجزائر المؤقتة ، ولولا ذلك الموقف الموحد الصلب من حكام العرب لما نجحت ثورة الجزائر ولم يكتب لها النجاح ، وما يقال أيضا من ان خمول الوعي العربي في سنة ١٩٤٨ كان السبب الرئيسي الذي جعل النقراشي ينفذ ما يمليه عليه الانجليز في عدم مناصرته للقضية الفلسطينية بل لموقفه منها موقفا ينافي الشرف والاخلاص .

أقول ان مايقال بهذا الشأن في كلتا الحالتين، جدير ان يقال أيضا لو ان النقراشي امتدبه الاجل الى سنة ١٩٥٨ وتولى رئاسة الحكومة المصرية ، لوقف من حكومة الجزائر المؤقتة الموقف الصلب نفسه الذي وقفته الدول العربية ، ووقفه رئيس حكومة القاهرة السيد جمال عبد الناصر •

***

وما علينا الآن الا ان نعود الى الخلف قليلا ، لنقارن بين الزمان والفرصة المواتية التي قامت بها ثورة الجزائر ، وبين الزمان الذي حلت به النكبة الفلسطينية •

قلنا ان رئيس حكومة القاهرة منع المفتي الحاج أمين الحسيني، وجاء به مخفورا لئلا يكون له أقل نشاط في الكفاح دون وطنه ، كما ذكرنا أيضا بأن صالح جبر رئيس حكومة العراق ، بذل أقصى جهده كي يطرد المفتي من مؤتمر عاليه الذي عقده رؤساء الدول العربية •

وما علينا الآن الا ان نقول : هل يستطيع يا ترى أي رئيس حكومة عربية مهما اتهم بميوله الاستعمارية ، أيستطيع أن ينبس ببنت شفة مشيرا الى ابعاد ممثل حكومة الجزائر المؤقتة السيد فرحات عباس عن حضور أحد مؤتمرات الجامعة العربية في سنة ١٩٥٧ ، كما طالب صالح جبر سنة ١٩٤٧ بابعاد ممثل الجزائر •

فاذا كان لا النقراشي ولا صالح جبر ولا أي واحد من رؤساء

الدول العربية يستطيع أن يقوم بأي عمل من هذا النوع تجاه الحكومة الجزائرية المؤقتة ، اذا كان الامر كذلك ، فما هو السر الذي جعل رئيس وزراء العراق يطالب بالحاح بابعاد ممثل من فلسطين عـن حضوره المؤتمر سالف الذكر ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع ان يطالب ممثل العراق في الجامعة العربية بابعاد ممثل حكومة الجزائر ؟ فهل يعني ذلك ان نظام الحكم في العراق في سنة ١٩٥٧ تبدل عنه في سنة ١٩٤٧ ، وتولى الحكم هناك شباب مواطنون تقدميون غير الرجال الذين هم من مدرسة نوري السعيد وصالح جبر ، وفاضل الجمالي ؟. واذا كان رجال الحكم في العراق لم يتبدلوا فهل يعني ذلك أيضا ان السياسة الاستعمارية الانجليزية تبدلت عن رغبتها باستعباد الشعوب ؟.

ما الذي حصل يا ترى حتى سكت المستعمرون ومنفذو أمرهم عـن شل نشاط الجزائريين ، علـى النهج الذي شل بـه نشاط الفلسطينيين ؟.

وما الذي جعل الجزائريين يستطيعون ان يشكلوا حكومـة حرة مستقلة مؤقتة وهم في المنفى؟ في الحين الذي حاول الفلسطينيون ان يشكلوا لهم حكومة مؤقتة لا بالمنفى بل على الارض الفلسطينية، ولكن وقف سدا منيعا أمام تنفيذ هذه الفكرة أكثر من دولة من الدول العربية ؟.

الجواب على هذه الاسئلة هو ان المستعمرين لم تتبدل سياستهم الاستعمارية الاستعبادية الى يومنا هذا ، كما ان حكام العراق في

سنة ١٩٤٧ لم يتبدلوا في عام ١٩٥٧ ، بل ظل أولئك الحكام كما كانوا هم أنفسهم • اذن ما هو السر في ذلك التبدل ؟•

الجواب مرة ثانية هو ان سر التبدل جاء نتيجة تفاعل الوعي الشعبي العربي النامي ، الذي قلب المفاهيم الاستعمارية رأسا على عقب • ولدينا من الأدلة والشواهد التاريخية أكثر من دليل وشاهد على صحة ما نشير اليه ، ونود ان نقصر الشواهد والأدلة بهذا الشأن على حادثتين وقعتا في أحد البلاد العربية المتاخمة للحدود الجزائرية ، تلك البلاد التي لا تخلو من وجود رجال يركن اليهم المستعمرون في الملمات، وان لم يكونوا معروفين لدى العالم العربي بميولهم الاستعمارية ، ولكنهم في الواقع لا يتورعون من القيام بالاعمال التي يرضى عنها المستعمرون فيما اذا سنحت لهم الفرصة المواتية •

***

القصة الاولى

وخلاصة الاولى من هاتين الحادثتين هي كما يلي :

شاء رئيس وزراء حكومة عربية ان يقف حجر عثرة فيموضوع من المواضيع التي لها علاقة ماسة في نشاط الثورة الجزائرية ، فجاءه مواطن ذو منزلة «مرموقة» فقال له بلغة التهديد والوعيد : « اسمع يا رجل اياك ان تتصور نفسك بأنك رئيس حكومة ، وانه

باستطاعتك ان تصدر أوامرك بما تشاء وتفعل ما تريد ، فيخيل اليك انك قادر ان تحول دون ما يريده الشعب في الوقوف أمام ما يعود على الثورة الجزائرية بالخير والفائدة ، ومضى هذا الشاب الى ان قال : أعاهدك الله لئن لم تمتنع عن غيك ، وتتراجع عن ضلالك ، لأفرغن مسدسي هذا في رأسك ، وختم الفتى تهديده الى رئيس الوزراء الذي لا زال على قيد الحياة . وقال : « لك من صباح اليوم الى صباح الغد مدة كافية لتستشير بها من تختاره من أهلك ومن أحبائك ، فان وجدت انه من الخير لك ان تتراجع عما نهيتك عنه فبها ، والا فلا تلومن الا نفسك » .

ولما كان رئيس الوزراء يدرك ويعقل جيدا بأن هذه اللغة التي يهدده بها ذلك الفتى ، لم تكن محدودة على ذلك الشاب المهدد فقط ، بل انما هي اللغة المعبرة تعبيرا أكيدا عن رغبة وتصميم مئات الالوف من الشباب العربي من أهل ذلك القطر بصورة خاصة ، كما هي اللغة المعبرة عن رغبة وارادة مئة مليون في كل قطر عربي ، بصورة خاصة ، بالنسبة لثورة الجزائر ، فقد تراجع رئيس وزراء تلك الحكومة ، لا خوفا من تهديد ذلك الشاب ، وبصورة فردية ، بل خوفا مما يتوقع حدوثه من يقظة الوعي الشعبي العربي الصاعد في هذا الزمن ، تلك اليقظة التي تختلف ولا شك ، عنها في سنة ١٩٤٨ ، أي سنة النكبة ..

القصّـــة الثانيـَــة

هذه هي القصة الاولى • وأما القصة الثانية فهي من نوع الاولى مع اختلاف بسيط بالاشخاص فقط •• وبرؤساء الحكومات ، وان كان كلا الرئيسين من قطر واحد، وانما يختلفان من حيث الزمان•• فالذي وقعت عليه القصة الاولى ، كان يرأس الحكومة في الفترة التي تعتبر ثورة الجزائر ، قد قطعت فيها نصف الطريق بينما الحادثة الاخيرة ، وقعت مع رئيس الحكومة الذي خلف سلفه السابق •• وقصتنا الاخيرة جاءت على النهج الآتي :

من المعلوم انه يوجد في الكثير من الاقطار العربية أو فيها جميعا، لجنة يقال لها لجنة التبرعات الجزائرية ، أو مايشابه هذا الاسم ، وقد قررت اللجنة السالفة الذكر في ذلك القطر العربي ان يقاطع تجار البلاد جميع المنتوجات الفرنسية ، ليس ذلك فحسب بل قررت اللجنة ان يقاطع العمال شحن وتفريغ السفن والطائرات الفرنسية ، فاستجاب التجار والعمال لقرار اللجنة وكان بين اللجنة والتجار والعمال تجاوب فعال ، وكان رئيس تلك الحكومة متهما بميوله الفرنسية ، اتهاما شاء ان يثبته في تصرفاته حيث طلب الاجتماع بأعضاء اللجنة ، فجاء الاعضاء بناء على طلبه ، وعندما اجتمع بهم حاول في بداية الامر ان يقنعهم بالتي هي أحسن ، لعلهم يتراجعون عن قرارهم ، ولكن محاولاته كلها باءت بالفشل •• وعندما رأى

محاولته باللين والحسنى ، لن تجدي •• بعد ذلك ذهب يهددهم قائلا ، انه سوف يصدر قرارا بحل اللجنة ، فرد عليه اعضاء اللجنة ردا موجزا في لفظه ، بينما أهدافه تحمل ألف معنى ومعنى من المعاني التي جعلت رئيس الوزراء يدرك جيدا ، بأنه اذا أصدر قرارا بحل تلك اللجنة ، فمعناه أنه أصدر على نفسه بنفسه حكم الاعدام ، الذي لايقبل الاستئناف ولاالتأجيل ••

ترى ماذا كان جواب رجال تلك اللجنة ؟ انه بسيط جدا ملخصه مايلي :

ـ لامانع يادولة الرئيس اذا كنت قادرا على حل اللجنة فافعل • وطبعا لم يفعل ، ولن يحاول دولة الرئيس ان يفعل •••

***

ولعلنا بعد ذلك أدركنا ان الفرصة التي اتيحت للجزائريين ، لم تتح للفلسطينيين •• ولا شك أيضا بأنه تبين لنا ان العراقيل التي وضعت امام الفلسطينيين ، بوحي من الاستعمار ، تلك العراقيل نفسها ، أو أعنف منها شاء الاستعمار ان يوحي بها لرجاله ، ليضعوها في وجه الثورة الجزائرية ، لعلهم يقتلونها في مهدها ، ولكنهم مااستطاعوا وذلك بفضل يقظة الشعب العربي ، واطرادنموه ، الذي يسير بخطى وئيدة ، كل يوم يفضل اليوم الذي قبله ، رغم أنف المتشائمين والانهزاميين والنفعيين الجامدين ، الذين لاتسمح لهم أنانيتهم أن يسايروا موكب اليقظة العربية ولا يريدون أن يروا عجلة التطور تسير الى الامام ، كما هي عليه سنة الكون ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا •

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ..

والحجة البالغة التي استطيع ان أفند بها منطق جميع المزاعم الباطلة التي يوصم بها الفلسطينيون ، هذه الحجة تأتي كما يلي :

منذ عام النكبة الى يومنا هذا ، والفلسطينيون لم تفتر لهم همة، ولم يستسلموا للهوان ، ولم يدخروا وسعا في التضحية . بل لم يتركوا بابا موصدا في انقاذ وطنهم الا طرقوه ؟ فكافحوا ثم كافحوا ، ولا زالوا ، بل كم حاولوا ولا زالوا يحاولون منازلة الصهاينة ، والتسلل اليهم في وسط الارض المحتلة ، ففي سنة ١٩٥٠ قام شباب فدائيون مدربون من خيرة الشباب الفلسطيني فذهبوا الى الارض المحتلة ونسفوا ماأمكنهم نسفه من الاستحكامات التي بناها الصهاينة حصونا لهم ، وقتلوا من وقع بأيديهم من الغزاة وفي سنة ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ ازداد نشاط الفدائيين الفلسطينيين ، كما ازداد في الوقت نفسه الرعب والذعر في قلوب الصهاينة الغزاة . وذلك عندما شعروا ، انهم يرون بين يوم وآخر حصنا منسوفا من حصونهم ، وضابطا مقتولا من قادة غزاتهم ، ومنزلا متهدما على

سكانه الغازين رأسا على عقب •

وهكذا لم يلبث الغزاة أن طارت أحلامهم ، وفقدوا أعصابهم ووقفت الهجرة ، بل أكثر من ذلك ، دب الذعر والقلق والخوف في قلوب المهاجرين من اليهود الاقدمين • وشاء هؤلاء ان يغادروا الارض المحتلة ، خوفا من فتك الفدائيين الفلسطينيين ، وبلغ الرعب بهم درجة جعلت احدى الصحف الاسرائيلية الصادرة بتل أبيب تتحدث قائلة العبارات الآتية :

كيف نطالب بالمزيد من هجرة المهاجرين ؟ كيف نخادع انفسنا بطلب من هذا الشأن ؟ ونحن نرى ونشاهد الرعب الذي حل بالمواطنين ، من نسف الحصون والمنازل ، وقتل الانفس ••ومضى الكاتب الى ان قال : انه منغير المعقول ان نطالب بمزيد منالهجرة كما انه من المعقول ان نخشى عودة الكثير من المهاجرين القدماء انفسهم فيما اذا استمر تدمير ونسف وتقتيل الفدائيين الفلسطينيين على الحالة التي تعانيها اسرائيل الآن ، ما لم يوضع حد لنشاط المتسللين •

هكذا قالت احدى الصحف الاسرائيلية هذه الجمل التي تحمل في آن واحد معاني الخوف والهلع من ناحية كما تحمل من ناحية اخرى الطلب في وضع حد لنشاط الفدائيين ، الفلسطينيين ، وكان من المسلم به ان يكون لأحد هذين المعنيين رد فعل ايجابي •

فاما ان تتوقف الهجرة اليهودية ، وفي الوقت ذاته ، يعود من دب في قلبه الروع والقلق من المهاجرين اليهود القدماء ، وهذا يعنيتقلص الكيان الاسرائيلي بالتدريج بفضل مغامرة الابطال من

الشباب الفلسطينيين البواسل ، واما ان يتوقف نشاط الفدائيين باية وسيلة من الوسائل •

وكان الذي حصل هو ان تمت الاخيرة أي انه جعل حد لنشاط الفدائيين الفلسطينيين ، بل اتخذت الاجراءآت الحاسمة والقاضية على أي نشاط يقوم به الفدائيون الفلسطينيون •

ولعل القارىء يظن ان هـذه الاجراءات التي حـدت نشاط اولئك الفدائيين الابطال جاءت بفضل الاحتياطات العسكرية التي قام بها اليهود ضد المتسللين الذين ادخل الفدائيون فيقلوبهم الهلع والرعب ، قد يتخيل القارىء ذلك ، ولكن الحقيقة المخزية والمخجلة هو ان الذي شل حركة الفدائيين الفلسطينيين ، وقضى على نشاطهم هم بعض الحكام العرب ، الذين راحوا يعاقبون من يقع بايديهم من الفدائيين الفلسطينيين ، باشد وأعنف عقاب يعاقب به المجرمون الجناة .

ويل للفلسطيني الفدائي اذا هاجم اسرائيل

والويل كل الويل لاي فدائي فلسطيني يسوقه القدر في ذهابه او ايابه من والى اسرائيل ، ومن ثم يقع بين ايدي الجنود العرب المتاخمين لاسرائيل ، لم يكن عقاب اي بطل فدائي مـن الفلسطينيين ، يقع بقبضة بعض الدول ، باقل من عقاب العدو له • فيما اذا وقع اسيرا بين يدي الاعداء •

وهكذا نجد أنه عوضا من ان يفتح المجال برحابةصدر للفدائيين

ليتسللوا ويضحوا بأنفسهم ، ويهاجموا الاعداء في مأمنهم ، ويقوضوا حصونهم ، وينسفوا مساكنهم فوق رؤوسهم ، حتى يتقلص وجودهم ولو بعد حين من الدهر • بدلا من ذلك نجد ان القضية جاءت عكسية ، حيث سعى بعض الحكام العرب ، وضرب بيد من حديد على يد أي فدائي فلسطيني يحاول ان يقوم بأي عمل يسيء الى الوجود الاسرائيلي بادنى صلة بحجة هي الى الجبن اقرب منها الى الشجاعة والرجولة •

ومضت فترة طويلة، أو على وجه التحديد ، منذ سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٥ ـ ونشاط الفدائيين الفلسطينيين مقضى عليه ، بفضل العقاب الصارم الذي اتخذ بحقهم ، ولكن الروح المعنوية في نفوس أبناء فلسطين البواسل ، تمردت على جميع ماتواجهه من عقاب وتنكيل ، فقاموا في سنتنا هذه ١٩٦٥ واعادوا الكرة مرة ثانية بصورة لاتقل نشاطا وعنفا (١) وتضحية من كفاحهم المعروف ونسفهم وقتلهم لمن يقع بايديهم من الغزاة السفاكين ، وبدأ الرعب يدب في أعماق قلوب الصهاينة من جديد ، ولكن الذي يؤسف له مرة ثانية هو أنه بدأ التشديد والعقاب من بعض الحكام العرب يعود بعنف لاي فتى فلسطيني ، يقع بايدي شرطة حدود بعض الدول العربية ، المتاخمة لاسرائيل ، والويل كل الويل للفلسطيني الفدائي ثم ويل له فيما اذا وقع بايدي شرطة حدود بعض الدول العربية وهو ذاهب الى الارض المحتلة ليفتك بالعدو او عائد منتصرا بعد مغامرة

---

(١) أقصد بذلك الشباب الفلسطيني الذين يقال لهم « العاصفة » او ماهو بهذا المعنى •

خطرة عنيفة • ويل للفدائي الفلسطيني عندما يقع بقبضة شرطة الحدود وهو متلبس بهذا الجرم الشنيع الذي لايقبل العفو والتسامح !!

حدثني من أثق بروايته نقلا عن الفدائيين من فرقة العاصفة : فيقول الراوي الحقائق الآتية :

١ ــ ان شباب العاصفة الفدائيين أكدوا له بأنهم لا يخشون عندما يجتازون الحدود الاسرائيلية ، في الذهاب والاياب بقدر مايخشون الخطر الذي يهددهم عندما يجتازون الحدود العربية المتاخمة لاسرائيل بالذهاب الى اسرائيل ، أو بالعودة منها •

٢ ــ ان اول شهيد قتل من جنود العاصفة كان مصرعه على يد شرطة أحد الدول العربية المتاخمة للارض المحتلة او الحارسة للغزاة والساهرة على حفظ سلامة المعتدين !!!

٣ ــ القت بعض الدول العربية القبض على شاب فلسطيني يدعى احمد الاطرش من اهالي حيفاء المشردين ، بمجرد اتهامه انه من جنود العاصفة الفدائيين وكانت هذه التهمة كافية ان ينال الشاب الاطرش من التعذيب والتعزير والعقاب الشديد ، الشيء الذي لامثيل له الا عقاب الصهاينة للمجاهد الفدائي احمد حجازي احد ابطال جنود العاصفة الذي اعتقله الغزاة جريحا ــ في الاونة الاخيرة ــ ولم يكن للاطرش أية جريمة ماعدا التهمة التي يدان بها او يشتبه بامره انه يريد ان يقوم بالواجب المقدس الذي يتولى تنفيذه جنود العاصفة الابطال الاشاوس وهو تدمير المنشآت الاسرائيلية في الارض التي اغتصبها الغزاة من أهل احمد الاطرش وحكموا

على مليون ونصف من اهله وذويه الاقربين • وبني وطنه بالتقتيل وهتك العرض • واستباحة ارضه واملاكه • وابعاده عن وطنه شريدا طريدا •

٤ ـ اعتقلت احدى الدول العربية التي يبنى عليها الامل في تحرير فلسطين • اعتقلت نفرا بتهمة انهم من جنود العاصفة • وذهبت شرطة تلك الحكومة تعاقبهم عقابا خاليا من الرحمة الانسانية ولولا ان حكومة عربية عرف رجالها بالماضي المجيد والكفاح الاصيل ، بذلت مختلف الوسائل مع رئيس تلك الحكومة المعاقب رجال شرطته لجنود العاصفة • فأصدر الرئيس أمره بالعفو وأخلى سبيلهم ، لولا هذه الواسطة من اولئك الابطال الثائرين حقا لظل المتهمون يعانون التعذيب الى اجل غير مسمى •

ويمضي محدثي الثقة بحديثه الذي نقله لنا من أحد جنود العاصفة فيقول : ومما يدعو الى الاطمئنان هو ان بعضا من ضباط احدى الدول العربية ، حينما وكل اليه أمر التحقيق مع نفر اعتقلوا بتهمة أنهم من جنود العاصفة ، عند ذلك رفض تنفيذ ما أمر به اولئك الضباط بكل شموخ انف واباءة نفس •

ونحن لانستغرب ماقام به هؤلاء الضباط الاباة وذلك لانهم قاموا بعمل تفرضه الشهامة العربية وتستوجبه الشريعة الالهية، وتجيزه العدالة الانسانية ، ولكن الذي نستغربه بل ونمقته ونعيبه هو قيام رجال شرطة بعض الدول العربية بتعذيبهم وتعزيرهم لمن يقع بايديهم ممن يتهم انه من جنود العاصفة •

أي ضمير عربي حر يقبل بتعذيب أبطال كهؤلاء؟ أي ضمير شريف

يرضى بأن يعاقب فتيانا كهؤلاء الذين لاذنب لهم الا أنهم يغامرون بحياتهم ليقضوا مضجع الصهاينة الذين نهبوا أرضهم وسلبوا خيرات بلادهم وقتلوا أهلهم وجعلوا منهم شعبا هائما لاأرض له ولامأوى.

أي ضمير شهم عربي أبي يقدم على اهانة أبطال يحاولون ان يغسلوا وصمة العار التي الصقها الصهاينة بجبين كل عربي من ناطقي الضاد .

انني اتهم بموت الضمير وبانعدام المروءة ـ وفقدان الشرف لاي عربي لديه مثل ذرة من النخوة العربية . ويقبل لنفسه ان يعاقب او يسجن ـ او يلقي القبض على أي شاب من شبان العاصفة الذين عاهدوا الله ان يقاتلوا الغزاة في قلب ارضهم التي اغتصبوها من أهلها ظلما وعدوانا .

عاهدوا الله ان يجاهدوا ويناضلوا حتى يدخلوا الرعب والهلع في قلوب الصهاينة المعتدين الغاصبين ، وعندما يدب في قلوب القراصنة الهلع . ويستمر القلق باستمرار مغامرة جنود العاصفة باعمالهم البطولية ، عند ذلك يتقلص وجود بني صهيون تدريجيا ، وحينئذ لايكفي ان يقال تتوقف هجرة المهاجرين فحسب ـ بل سوف يضطر المهاجرون القدامى منهم الى عودتهم الى الارض التي قذفتهم ـ منهزمين هاربين الى غير رجعة .

أنلوم الفلسطينيين بعد ذلك أم نلوم أنفسنا ؟

وبعد فهل بعد ذلك بقي لنا اية حجة نلوم بهـا الفلسطينيين اكثر مما نلوم بها انفسنا ؟ نحن الذين ، وقفنا منهم عدة مواقف كانت الى خذلان الاخ لاخيه أكثر من وفائه له والتضحية فـي سبيل مناصرته ، ونجدته بالمعنى العربي الـذي يفرضه التكاتف والنخوة العربية تجاه أخ لاخيه ، هل نلوم الفلسطينيين ونحن الذين لم نتركهم وشأنهم مع اليهود ، يتقاتلون حتى النهاية ؟ بل ذهبنا نتدخل في أمرهم كاننا اوصياء عليهم ، هل نلومهم ، ونحن نرى بعض حكامنا سحب السلاح من ايدي الابطال الفلسطينيين في سنة ١٩٤٨ وهم في ساحة الوغى ، وفي أوج محنتهم ؟

هل نلومهم وبعض قادة العرب كان يتفاوض مع العدو الغازي ، والمعركة دائرة بيننا وبين الغزاة على اشدها ؟

هل نلومهم وزعماؤهم السياسيون الناطقون باسمهم عندما أرادوا ان يقوموا بنشاط سياسي يقضي بتشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة على غرار حكومة الجزائر ، حينمـا أراد ساستهم ذلك تصدى لهم بعض من حكام العرب المنفذين لسياسة الاستعمـار

ووقف لهم بالمرصاد دون تنفيذ مايريدون ؟

هل نلوم الفلسطينيين وهم الذين طالبوا والحوا بطلبهم بان تكون القيادة بايدي ابنائهم المجربين والمعروفين بالكفاح والاخلاص كعبد القادر الحسيني وامثاله فكان جوابنا لهم عكس مايطالبوننا به ، وذلك اننا رحنا وجعلنا القيادة بيد ابن التيمس ــ الجنرال جلوب ــ الانجليزي العريق ــ الذي لاينقصه الاخلاص لحكومته الانجليزية الاستعمارية بقدر مالديه من الغدر والخيانة ، للامة العربية على النهج الذي يأمره به سادته رجال السياسة الانجليزية كتشرشل وايدن وامثالهما ؟

وهل نلوم الفلسطينيين ، وبعض الحكام العرب يعاقبون الفدائيين الابطال عندما يضحون براحتهم ــ بل وبحياتهم ، كما يعاقب السارق واللص ؟ لماذا ألانهم نسفوا حصنا من حصون العدو ، وأتلفوا ماأمكنهم اتلافه من مراكز الغزاة ــ ونسفوا ببطولة مااستطاعوا نسفه في تل ابيب ، من منازل القراصنة ؟

هذا هو ذنب هؤلاء الابطال ولا ذنب لهم غيره أبدا •

ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب

هل نلوم الفلسطينيين ، بعدما ثبت لدينا بالادلة القاطعة المعروفة لدى كل ذي فطنة ان بعضا من حكام العرب ـ قام بعملية « ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب » ، وملخص تلك العملية الملغومة كما يلي :

« تظاهر ذلك الحاكم في بداية أمره بأن أبدى عطفه بصورة محدودة على من يتوسم به الفتوة والنجابة والبطولة من الشباب الفلسطينيين وجعل لمن تتوفر به هذه الصفات مرتبا محصورا على سد الرمق ليس الا ، فاستجاب له عدد من خيرة الشباب الفلسطينيين • ومن اشجعهم قلبا وأمضاهم عزيمة ، واسلمهم طوية ، فشاء ذلك الحاكم في بداية الامر ان يمتحنهم ليعرف مقدار مايتمتعون به من تضحية وتفان فيما اذا احتاج لهم عندما يقلب له الزمن ظهر المجن •

وكان الامتحان يتلخص في مهمة تقتضي ان يذهبوا بصورة فردية الى اسرائيل ليتجسسوا عن نشاط العدو ، وليعرفوا نقط ضعفه وقوته •

وقد وجد الشباب الفلسطينيون ان هذه المهمة بالرغم من انها محفوفة بالمخاطر ، وتتطلب منتهى التضحية ، ولكنها مهمة محببة الى

نفوس أولئك الشباب الابطال ، مهما بلغت من التضحية والمغامرة •

أليست هذه المهمة فيها سبر قوة وضعف الغزاة كخطوة تمهيدية الى القيام بالجولة الثانية ، وايمانا منهم بهذه الامنية التي هـي أقصى مايحلم به الفلسطينيون ، ذهب هؤلاء الفتيان يتسللون الى الارض المحتلة ، مستهترين بجميع المخاطر التي يلاقونها ، وقـد استمروا فترة وهم يقومون بهذا الكفاح ذهابا وايابا ، يأتـون بأخبار العدو على خير مايرام ، وكان الامر طبيعيا ان يزدادوا ولاء ومحبة وثقة بذلك الحاكم ، الذي فسح لهم المجال من ناحية ، ليقوموا بعمل مقدس يتجاوب وأمانيهم التي يحلمون بها الرامية الى خدمة وطنهم ، ومن ناحية أخرى هي أن هذا الحاكم قدم لهم من المادة مايقوم باودهم على الاقل ، كما ان ذلك الحاكم أيضا أصبح يركن الى أولئك الشباب ويثق بهم ثقة تامة فيما اذا دعـا الامر ان يجندهم ليقوموا بمهمة التجسس على خصومه المحليين ، وعندما يحتاج اليهم عند مواجهة المهمة التي اعدهم لها حينمـا تضطره الظروف الحرجة الى مواجهتها •

وكان له مايريد ، وذلك انه في نهاية المطاف صرفهم عن المهمة الاساسية التي انتدبهم لها ، صرفهم عن تلك بالتدريج ونقلهم شيئا فشيئا ، من سبر غور اسرائيل ، الى ان جعلهم جنودا يأتمرون بأمره حيث يشاء وكيف يريد ، وبدلا من أن يقوموا بالمهمة الاولى التي من شأنها معرفة نقط الضعف والقوة عند العدو ، بدلا من ذلك صرف منهم نفرا يتجسسون له على خصومه العرب السياسيين ، وبدلا من ان يدربهم على مختلف الاسلحة الحديثة ليستعملوها في

قلوب الاعداء الاسرائيليين ، بدلا من ذلك راح ذلك الحاكم يدربهم على الاسلحة ليفتكوا بابناء عمهم العرب ، عند ادنى فتنة تقوم مناوئة لحكمه ، أو عندما يوحي اليهم بأن يقوموا بفتنة يقنعهم بانها من صالح العرب ، وان الامر يستوجب منهم ان يضحوا بحياتهم في سبيلها ، عندئذ لم يدخروا وسعا في قيامهم باشد المغامرات عنفا وضراوة كما حدث فعلا في مناسبتين لايسعني شرحهما ، فأما الاولى فقد علمت من أصدق المصادر وأوسعها اطلاعا بان تلك الفتنة ذهب من اسبابها ضحايا من الفدائيين الفلسطينيين عدد يبلغ حده الادنى ستة آلاف فتى من أبرز الفتيان الفلسطينيين شجاعة وأحدثهم سنا ، ويؤكد لي ذلك الراوي ذو الصلة الوطيدة بهذا الشأن ، ان ذلك الحاكم ، كان يهب الشاب الفلسطيني ، من النقود ، نسبة محدودة وذلك عندما يهيء الفتى ويعده للمغامرة التي ينتدبه لها ، بشرط ، ان لايدخر الشاب المغامر من تلك النقود درهما واحدا في جيبه ، وانما يسلمها لاهله كدية لحياته • ويزيدني الراوي تأكيدا ، بأن الفدائيين الفلسطينيين « المنكوبين » الذين يقومون بتنفيذ المغامرة التي انتدبهم لها ذلك الحاكم ، يؤكد الراوي الثقة انه اذا ذهب منهم سبعون • فانه لايعود منهم الا عشرة ، اما البقية فانهم يلاقون حتفهم •

اما الفتنة الثانية فان عدد ضحايا الفدائيين الفلسطينيين حسب رواية الراوي الثقة المطلع ، يتراوح بين الالف والثمانمائة فتى عمر الواحد منهم يتراوح بين العشرين الى خمس وثلاثين •

وهكذا استغل ذلك الحاكم فاقتهم وتشريدهم كما استغل

بطولتهم ، وياليته عندما دربهم ووهبهم السلاح ، ليته وفق الى اتتدابهم وتوجيههم الى ضرب اسرائيل في ارضهم المغصوبة ، ولكنه مع الاسف استعملهم في أمر لم يكن له أي شـأن في القضية الفلسطينية التي هي الشغل الشاغل للامة العربية بصورة عامة ، وللفلسطينيين بصورة خاصة ، فكانت النتيجة كللآتي :

أولا — خسر الفلسطينيون نخبة من خيرة شبابهم البواسل الشجعان الذين لاتقف شجاعتهم ومغامرتهم عند حد •

ثانيا — خسر أيضا المناوئون لذلك الحاكم فتيانا لا يقلون عـن أشباههم الفلسطينيين بطولة واقداما ، وهذه الخسارة المزدوجة من كلا الطرفين انما هي على حساب الامة العربية •

ثالثا — أضاف هذا الحاكم الى سمعة الفلسطينيين السيئةسمعة مرادفة الى السمعةالتي « افتراها الصهاينةوصدقهامغفلو العرب »•

وهذه السمعةالاخيرة ليست من السهولة بمكان تفنيدها ، وكيف يمكن اقناع العربي بأن هؤلاء النفر مغرر بهم ومخدوعون من قبل ذلك الحاكم الذي استعملهم في بداية الامر لغرض نبيل شريف ، ثم نقلهم بدون شعور منهم الى هذه الاعمال ؟

متى يقنع العربي بذلك وهو ينظر رؤية العين قيام الفلسطينيين بأكثر من فتنة ، قامت في بعض الاقطار العربية ؟

*
**

وبعد فهل بعد ذلك نلوم مثل هؤلاء الشباب الفلسطينيين الذي

غرر بهم ، أم نلوم ذلك الحاكم الذي استغل شجاعة وصفاء نيـة هؤلاء الشباب ، وراح يضرب لهم على الوتر الحساس الذي يداعب آمالهم وأمانيهم ، حتى اذا ملك أفئدتهم واستولى على عقولهم ، وكسب ثقتهم صرفهم الى مايريد ويهوى لا الى مايصبون اليه من تحرير وطنهم المغتصب ؟

نصيحتي الى بعض الحكام اياكم أن تجعلوا منهم مخلب القط

علـى أي حـاكم من حكـام العرب مهما كان نظام حكمه عليه ان يتقي الله باتخاذ الفلسطينيين مخلب قط لاهوائه ومقاصده.

عليه أن يتقي الله بأن لا يزجهم بخصوماته مـع من يخاصمهم من بني قومه .

عليه ان يتقي الله بأن لايجعل منهم جندا يخاصمون من يخاصمه ويصادقون من يصادقه .

عليه أن يتقي الله بأن لا يسلم لاي شاب منهم سلاحا الا اذا كان هذا السلاح الغاية منه ان يذهب به الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل في قلب الارض التي احتلتها .

عليه انيتقي الله بأن لايدرب الفلسطينيين ليكونوا جيشا لحماية حكمه .

عليه ان يتقي الله بان لا يدرب أحدا من هؤلاء الابطال الا اذا كانت الغاية من تدريبهم المقصود منها ان يمنحهم السلاح والمؤازرة

المعنوية والمادية ليقوموا بدور فعال على النهج نفسه الذي يقوم به الشباب الابطال من شباب العاصفة .

أما ان نستعملهم لاهوائنا ولمقاصدنا الخاصة ، ومن ثم نلومهم وتتهمهم بشتى التهم ومختلف الكذب والبهتان ، منقادين مع الدعاية التي افتراها الصهاينة ، اما اننا نفعل ذلك فهذا يعني اننا اضفنا الى المحنة التي ابتلي بها هؤلاء النفر محنة أخرى ، ثم بعد ذلك نلومهم ، قبل ان نضع اللوم والعتاب بل والعقاب على من غرر بهم وخدعهم .

نصيحتي للفلسطينيين جميعاً

اولا — على الفلسطينيين ان يثقوا ويؤمنوا ان وطنهم المسلوب اذا لم يعدوا انفسهم جميعا لتحريره . واذا لم يشمروا عن سواعدهم بجد ودأب لا يعرفان الملل والكلل ، واذا لم يبرهنوا للعالم اجمع ان كل فرد منهم على أتم الاستعداد لان يبذل اقصى مايمكن ان يبذله اشرف مجاهد في تحرير بلاده ، كل على قدر طاقته — التاجر والموظف منهم بماله — والمثقف بقلمه وبلسانه وبتخطيطه ودأبه وبسهره — والجندي المناضل بدمه وبحياته .

اذا لم يضح ويتفان الفلسطينيون كل حسب قدرته ، فانني استطيع ان أؤكد بعد مختلف التجارب التي شاهدتها وعشتها جنديا وسياسيا منذ سنة النكبة ١٩٤٨ — الى يومنا هذا الذي هو آخر سنة ١٩٦٥ — من مشاهداتي وتجاربي بل وتجارب ادنى مواطن عربي واع ومدرك لسير الاحداث .

كل ذلك يعطينا دليلا لامجال للشك فيه بان فلسطين التي سلبها الغزاة من أهلها لن تعود قطعيا الا عن طريق كفاح اهلها ، وما لم يعتمد اهلها على سواعدهم ويعتبروا انفسهم جميعا انهم في جبهة

حرب مع الغزاة ، مالم يصمموا على ذلك ويتخذوا قرارا حاسما بهذا الصدد فان وطنهم سوف يظل محتلا بيد القراصنة الصهاينة الى أجل غير مسمى •

ثانيا ــ يجب ان يؤمن الفلسطينيون ايمانا وطيدا انهم متى ماتخذوا قرارا يقضي باحد الامرين ، اما الشهادة واما الجهاد المستمر الى أن يحرروا بلادهم وينالوا النصر •• اذا فعلوا ذلك ، فما عليهم الا ان يكونوا راسخي الايمان بانهم سوف يربحون الثانية بلا ريب ان شاء الله ، وانما عليهم ان يدركوا بان هذا النصر الذي يحرزونه في النهاية سوف يضطرهم الى ان يدفعوا ثمنه غاليا من الانفس والمال ــ والسجون والتعذيب ، ومن مختلف المشاق والعقبات الكأداء التي سوف توضع في سبيلهم ، كما سوف يسمعون من الاتهامات السيئة الشيء الذي لاحصر له • وسوف يطول كفاحهم ويطول ، ولكن النصر سيكون حليفا لهم في نهاية الامر ، وذلك بفضل السبب الرئيسي الموضح بما يلي :

حينما يستمر الفلسطينيون بجهادهم وخاصة الاعمال البطولية التي يقوم بها الآنفدائيو العاصفة ، وحينما يسمع العربيعن نسفهم لمنشئات العدو ، وعندما يسمع تدميرهم لحصون الغزاةومستعمراتهم عندئذ سوف يجد هؤلاء المجاهدون البواسل من يعطف عليهم من اخوانهم المخلصين ، من كافة الشعوب العربية بصورة عامة ــ وعلى

مر الايام سوف يزداد هذا العطف كلما زادت مغامرة الفدائيين بطولة في ارض العدو ، وسوف ينقلب ساعتذاك العطف الذي ابتدأ بعطف شعبي سلبي ، سوف ينقلب فيما بعد الى عطف ايجابي تساهم به كافة الشعوب العربية ، مضحية بالمال والنفس . وعندئذ سوف لايستطيع بعض الحكام العرب الاستمرار بقمع جنـود العاصفة ، عندما يشعر كل حاكم من هؤلاء ان الوعي الشعبي العربي بدأ ينمو ويزداد عطفا وتأييدا واعجابا بجنود العاصفة ، مقدرا بطولتهم واعمالهم المجيدة .

اكثر من ذلك سوف ترى بلا شك روح التمرد الشعبي من ابن الشارع الى شرطي الحدود المتاخمة لاسرائيل كما هي الحال بالضباط الاحرار .

اولئك الذين ذكرنا انهم رفضوا اوامر حكومتهم القاضيـة بالتحقيق مع جنود العاصفة .

وعندما يصل الوعي الشعبي الى درجة التمرد والعصيان تكاتفا وتأييدا لجنود العاصفة البواسل ـ حينئذ سوف يكون اولئك الحكام الواقفون من العاصفة موقف الخصومة ، سوف يواجهون احد الامرين : اما ان يستسلموا لارادة شعوبهم ، ويتركوا جنود العاصفة يشقون طريقهم ، واما ان يستمروا في موقفهم المضاد من جيش العاصفة .

والذي اتوقعه هو انهم سوف يسلكون السبيل الاول ـ لانهم

اذا لم يفعلوا ذلك ، فان عاقبة اي حاكم يخالف ارادة شعبه سوف تكون وخيمة ، لامحالة •

وبعد فان نصيحتي الختامية التي اقولها في هذا الصدد ــ هي التي سبق ان اشرت اليها في اكثر من مناسبة ، وفي عدة مقالات • وفي بعض مؤلفاتي • وبالنظر الى أهميتها فانه لامانع عندي من ان اعيد تكرارها ثانية وثالثة وهي كالآتي :

يجب وجوبا الزاميا على كل فلسطيني ان يبتعد كل الابتعاد عن الارتباط او الميول لاي حاكم كان ، وان لاينتمي الى اية فئة كانت ، وان لايقيد نفسه بنظام اي حزب من الاحزاب •

نصيحتي الى كل مخلص عربي

يقول الشاعر العربي :

لاخيل عندك تهديهـا ولا مال   فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

وفي الحديث النبوي الشريف ما معناه الجهاد ثلاث مراحل : باليد ، ومن لم يستطع فباللسان ، ومن لم يستطع فبالقلب •

ونحن هنا لا نملك الآن السبيل الاول ، فهذا متروك للفتيان البواسل من شباب العاصفة الفلسطينيين بل وغير الفلسطينيين من فتيان العرب جميعا • أما الذي نستطيع القيام به فهو التعبير باللسان او بالقلم ، ولذلك وجدتني أبديت نصيحتي الاولى للحكام العرب ، والثانية للاخوان الفلسطينيين بصورة خاصة • وأما الاخيرة فهي لاخواني ناطقي الضاد بصورة شاملة لكل فرد من أمة العرب ، وهي :

١ ــ على كل مواطن من أبناء أمتنا العربية ان ينتبه للدعايــة الصهيونية التي أوضحناها بهذا الكتيب ، وان يدرك ويعي بأن المخطط الاستعماري الذي رسمه المستعمرون والصهاينة واليهودية العالمية من وراء الجميع ، ذلك المخطط الخطير الذي شوهت بــه سمعة الفلسطينيين كما مر معنا ، ليس الغاية منه الفلسطينيين فحسب ، وانما هو خطوة تمهيدية لغزو العرب وتشويه سمعتهم بالاسلوب

نفسه الذي غزا به الصهيونيون فلسطين ، وما تلك الغزوة الا امتداد لتنفيذ المخطط الصهيوني الذي صرح به أكثر من زعيم من زعماء صهيون بقولهم : ان الوطن القومي اليهودي ــ من النيل الى الفرات ــ وان فلسطين ليست الا مرحلة أولى الى ما بعدها •

٢ ــ على العربي أن يدرك هذه الحقيقة وان يعي ويفهم ــ ان الاعمال التي يقوم بها جنود العاصفة من الفدائيين الفلسطينيين بنسفهم وتدميرهم لحصون الغزاة ، وادخال الذعر والهلع في قلوبهم ــ هذه الاعمال المقدسة من شأنها ان تبدل المخطط العدواني الصهيوني ، فبدلا من ان تكون خطة الغزاة مبنية على الهجوم والتوسع في أرضنا العربية ، بدلا من ذلك يتراجعون مذعورين عن مخططهم القاضي بالهجوم والتوسع الى خطة يتخذونها من جديد للدفاع عن أنفسهم ، والحرص على سلامتهم •

اذن على كل عربي يستطيع ان يؤازر جنود العاصفة بأي نوع من أنواع المؤازرة ، عليه ان يعتقد بأنه يؤدي بعمله هذا فرض عين، لا فرض كفاية • فرض عين ، لان العدو هو الغازي المعتدي على ديارنا والمهدد لسلامتنا ، ومن المعلوم في شريعتنا الاسلامية انه حينما تقف جيوش الاسلام من العدو موقف المهاجم فان الجهاد يكون وقتها فرض كفاية ــ أي انه اذا قام به بعض المجاهدين سقطت الفريضة عن بعضهم الآخر • أما عندما يكون العدو هو المهاجم والغازي لديارنا ، فعندئذ يكون الجهاد فرض عين يتحتم القيام به على كل مسلم ومسلمة •

وعلى هذا الاساس تكون مؤازرة جنود العاصفة الذين بثوا فينا الامل من جديد واجبا حتميا ، ومن أقدس الواجبات على كل عربي .

قد يتذرع بعض منا بما يدعيه الانهزاميون الجبناء من الحجة الواهية التي يقال عنها ان اسرائيل سوف تضطر في النهاية الى مهاجمة احدى الدول العربية ، فالجواب على ذلك كما يلي :

١ ـ اذا شعرت اسرائيل ان احتلالها لفلسطين بعد سبعة عشر عاما لم يقض على شجاعة وتضحيات الفلسطينيين ، وان الكفاح بدأ يتخذ ضدها طابعا شعبيا جديا من أبناء فلسطين ، اذا شعرت بذلك فكيف بها تطمئن بأنها عندما تغزو البلاد العربية ، وتستقر في دارهم ، وعدد الغازي مليون نسمة وعدد المغزوين مائة مليون ، كيف يهدأ روعها وتضمن بقاءها من مهاجمة مائة مليون عندما تتوسط في أرضهم ، فلو قدر ان هؤلاء العرب لا يحاربونها الا بالحجارة فقط ، عندما تكون في وسطهم ، لو قدر ذلك لما استطاع مليون نسمة أن يفني مائة مليون . وهل يظن ان الغلطة التاريخية التي ارتكبها الفلسطينيون في عام ١٩٤٨ عندما أخلوا ديارهم لليهود وراحوا مشردين لاجئين ، هل يظن ان هذه الغلطة سوف تتكرر مع العرب مرة ثانية ؟. تلك الغلطة التي لو لم ينتهجها اللاجئون ، أو لو بقي الفلسطينيون في بلادهم لظلت اسرائيل محرومة من امتلاك المساكن والارض والاموال التي هرب أهلها وتركوها، ولظلت أيضا مهددة دائما وأبدا من مقاومة مليون ونصف مليون مستوطن في قلبها .

ان مثل تلك الغلطة لن تتكرر في عالمنا العربي قطعيا .

للنكبة وأهلها فضل على العرب وليس العكس

وضعت في مؤلفي « كيف ننتصر » بحثا بهذا العنوان •

« اذا كانت النكبة سببا لهبوط الوعي فانها تسببت بنموه » •

وعلى سبيل الحصر والاستشهاد أود أن اذكر بعضا من الجمل التي اوردتها بهذا الشأن ، ومنها العبارات الآتية :

« ان كل مانراه اليوم من غليان في نفسية كل فرد من أفراد امة الضاد ، وما حدث من ثورات وما وقع من انتكاسات ، وما سيحدث من هذه وتلك ، فانما سببه الرئيسي ، وحوافزه الاساسية ، هي النكبة أولا وأخيراً •

فالنكبة هي التي ايقظتنا من سباتنا العميق ، وهي التي الهبت وعينا الدافق ، وهي التي شحذت شعورنا الفياض •

والنكبة هي التي اعطت تلك الفئة او ذلك الحزب مادة دسمة يرتكز عليها نضاله ، وهي التي هيأت لذلك الكاتب المجال الفسيح الرحب ، ليكتب فيه كيف يشاء الخ ••• » •

انتهى مااختصرته من تلك الجمل التي كما اشرت بانني اوردتها

من قبل الاستشهاد في كتابي « كيف ننتصر » •

وما عليّ الا أن أقول : كما ان للنكبة الفضل في نمو الوعي فان لاهل النكبة الفضل الكبير على العرب •

أجل ان النكبة الفلسطينية ، وان كانت وصمة عار في جبين كل فرد من أفراد الامة العربية من الناحية المعنوية والسياسية ، ولكنها لم يتضرر منها أحد من الناحية المادية الا أهلها الذين حلت بدارهم النكبة ، ولا سيما الفتيان والفتيات الذين نكبوا قبل ان يكملوا دراستهم ، ناهيك بالامهات الثكالى ، وبالايتام والرضع ، وعلى اية حال فان اخواننا الفلسطينيين هم وحدهم الذين احترقوا بلهيب النكبة •

ولست مخطئا فيما اذا قلت : ان للفلسطينيين الفضل علينا وليس العكس

سواء أكان صادقاً أو استهلاكاً محلياً

نعم هم اصحاب الفضل لان اي حاكم كان اذا شاء أن يكون له شعبية أكثر ، تحدث عن فلسطين وعن الفلسطينيين وعن نكبتهم وعن الجولة الثانية ، وسواء أكان صادقا بحديثه ، أو من قبيل الاستهلاك المحلي ، وهو في كلتا الحالتين لابد من ان يكسب الوقت •

وللفلسطينيين الفضل عندما نجد قادة العرب يبلغون من الخلافات والمهاترات درجة يسرّ لها العدو ، ويحزن لها الصديق ،

ولكن هذه الخلافات تنتهي وتزول مهما بلغت من الشدة ، وذلك مجرد مايأتي ذكر فلسطين ، اذن يكون لفلسطين وأهلها الفضل الكبير على عدم اتساع هوة الشقاق بين العرب أنفسهم •

أما العرب فلم يكن لهم على اخوانهم الفلسطينيين يد اللهم الا عندما يعقد العزيمة زعماء العرب ، ويقولون للفلسطينيين خذوا منا السلاح والمال • وغامروا جماعة وأفراداً واذهبوا الى العدو الذي نكبكم وشتتكم وانسفوا ماستطعتم ان تنسفوه من منشآت الغزاة ، واقتلوا من تستطيعون قتله من جنود اسرائيل ، واحرقوا مايمكنكم احراقه من منازلهم ، ودمروا ماتبلغ قدرتكم القدرة على تدميره من ثكناتهم العسكرية •

حبذا لو يفعل قادة العرب ذلك

حبذا لو قال قادة العرب ذلك ونفذوا اقوالهم بصورة عملية ثم أعدوا العدة الكافية لمواجهة أي هجوم تقوم به اسرائيل ، على أية دولة عربية مجاورة لها • خاصة عندما تشعر اسرائيل ان مهاجريها سوف يتوقفون عن الهجرة وان من جاء مهاجراً اليها سوف يعود من حيث اتى ، وذلك عندما يشعر كل اسرائيلي ان حياته محفوفة بالخطر وان سلامته مهددة بسبب الاعمال البطولية التي يقوم بها الشباب الفدائيون الفلسطينيون ، ومن ورائهم الامة العربية قاطبة حكومات وشعوبا •

اذا فعل قادة العرب ذلك ، سوف يكون لهم يد على الفلسطينيين وان كان هذا أمراً يفرضه الواجب العربي ، ولا يعتبر منة ولا فضلا بل فيه غسل عار عن الوصمة التي لصقت في جبين كل عربي من امة الضاد .

وفيه تكفير عن كل اهمال وقع من العرب تجاه فلسطين وأهلها وفيه تصفية للعدو الجاثم في دارنا الذي يهددنا خطره في كل لحظة من اللحظات ، كما يهدد السرطان حياة الانسان ، المصاب بهذا المكروب القاتل .

وفيه حجة سياسية امام الرأي العام الدولي فيما اذا رأت اسرائيل أن وجودها بدأ يتقلص ، ومن ثم اعتدت وقامت بمغامرة انتحارية بهجومها على احدى الدول العربية المتاخمة لها ، فيكون للعرب الحجة الدولية المنطقية ، فيما اذا اجمع ثلاث عشرة دولة ، وصدت هجومها بسحقها من أرضنا العربية .

وفيه استرداد لكرامتنا المهدورة ، ولشرفنا الذي مرغه بالوحل الاستعمار البريطاني اولا ثم الاستعمار الامريكاني ثانيا ، بوضعهما لاسرائيل فوق جسر من اشلائنا ، وفوق نهر من دمائنا . وفيه استرداد لمجدنا المطموس .

وفيه اثبات لصحة تاريخ آبائنا الاوائل الذين فتحوا مشارق الارض ومغاربها وملؤوها عدلا وانسانية وانصافا .

هذا هو سبيل الرشاد الوحيد الذي يمزق به جلباب العار الذي وشحنا به المستعمرون وصنيعتهم اسرائيل ، ولم يكن أي سبيل لغسل العار غير السبيل الذي تسمح به الدول العربية بقيام الشبان الفلسطينيين باعمال الفدائيين ، تلك الاعمال التي وان كانت لاتكفي وحدها بتصفية اسرائيل ولكنها على طول المدى تصفي كيان العدو ، ولا سيما اذا شعرت اسرائيل ان الدول العربية كافة تمد هؤلاء الشباب الفلسطينيين بالمال والسلاح . كما تستعد هذه الدول عن بكرة ابيها لمواجهتها بهجوم معاكس مجرد ماتعتدي على اية دولة من الدول المتاخمة لها .

اما اذا تقاعسنا عن سلوك هذا السبيل الذي فيه ولا شك تضحية ، ولكن لاعز في الحياة يبنى لاية امة كانت بدون تضحية .

اذا تقاعسنا عن ذلك ، وبدأنا نعلل انفسنا بالآمال والاماني الجوفاء الفارغة ، وأعلنا لفظيا اننا سوف نحرر فلسطين من المغتصبين ، بينما نحن في الحقيقة لم ننو القيام بعمل جدي ، بل لم نترك الشباب الفلسطينيين يقومون بالاعمال البطولية ، او بعبارة أوضح اذا عاقبنا اي فتى فلسطيني يقع بايدينا عندما يحاول ان يذهب الى ارض العدو ليقوم بما يمليه عليه الواجب كفلسطيني طرد من ارضه ، وشرد ، وقتل الغزاة آباءه ، وسلبوا ممتلكاته ، اقول : اذا كان دأبنا عقاب الفدائيين الفلسطينيين الذين يقومون بعمل مشرف من اعمال البطولة التي من شأنها تصفية وجود اسرائيل فهذا يعني اننا لم نكتف بتشويه سمعة اخواننا الفلسطينيين بالدعاية التي افتراها عليهم الصهاينة ، ولم نكتف بعدم مؤازرتهم بالمال

والسلاح بل وضعنا انفسنا حراسا أمناء على حدودعدونا اسرائيل، وقلنا لها بلسان الواقع : كوني يااسرائيل آمنة مطمئنةمن ان لاتمتد اليك يد اي مغامر من الابطال الشباب الفلسطينيين اصحاب الحق ، كوني على ثقة باننا وضعنا سياجا من حديد على حمايتك ممن سلبت ارضهم وانتهكت حرمتهم ، وفتكت بآبائهم ، وشتت شمل شيوخهم واطفالهم ونسائهم !!!

وكوني على ثقة بأننا وضعنا عقابا صارما على أي فرد فلسطيني تحدثه نفسه بالهجوم عليك ومقاومتك .!!!

كيف نقاوم الدعاية الصهيونية ؟

اذا كنا جادين حقا بشأن نجدة فلسطين وأهلها ، فما علينا الا أن لانعير انتباهنا الى اية دعاية تسيء الى سمعة الفلسطينيين ، بأدنى صلة من الصلات وهذا لايتم الا باتخاذ الامور الآتية :

أولا — يجب على كل عربي ، عندما يسمع شخصا منا يتهم الفلسطينيين بصورة جماعية ، او يحط من قدر أي مواطن فلسطيني لا لشيء الا لانه فلسطيني ، فيجب ان ينال هذا العربي الجزاء الذي يستحقه ، بل يجب ان يتهم بوطنيته ، وحبذا لو وضع من قبل الجامعة العربية باجماع الاعضاء كافة ، مادة تنص على عقاب اي عربي يردد هذه الدعاية المختلقة .

ثانيا — يجب ان يوضع في كل جهاز من اجهزة الاعلام لكل دولة من الدول العربية برنامج خاص ، يتضمن تنبيه الرأي العام العربي ، لمقاومة هذه الدعاية الصهيونية كما تضع في الوقت نفسه كل دولة من الدول العربية في وزارة معارفها دروسا خاصة تشمل بمفهومها مقاومة تلك الدعاية ، واعطاء الجيل فكرة عما يقصده

المستعمرون والصهاينة ، من الغاية القصوى وراء هذه الدعاية .

ثالثا ــ تقوم كل دولة عربية بالاتفاق مع صحافة بلادها ، على القيام بين فترة واخرى بنشر الاعلانات ، التي تحمل الاشارة عن تحذير المواطنين ، من الاصغاء الى الدعاية الصهيونية المفتعلة .

رابعا ــ على كافة الفلسطينيين في كل بلد عربي أن ينظموا انفسهم ويطهروا صفوفهم ، وان يجعلوا من انفسهم على انفسهم رقيبا ، يترقبون سيرة اي واحد يبدو منه ادنى هنة او كبوة ، من شأنها ان تؤيد دعاية العدو فيهم ، لان اية عثرة من أي واحد منهم ، فانها بقدر ماهي صغيرة من غيرهم ، فانها منهم كبيرة وكبيرة .

خامسا ــ ينبغي ، بل يجب وجوبا الزاميا ، على أي فلسطيني مخلص لبلاده ، ان يكون بعيدا عن مناصرة أية فئة من الفئات العربية مدافعا عن خصمها أو له .

وخلاصة هذا البحث في هذا الشأن ، هو انه ينبغي على الفلسطيني ، ان يجعل شعاره دائما وأبدا ، كشعار الجزائري عندما كان يناضل في سبيل تحرير بلاده ، ذلك الشعار الذي كان يعني بلفظه ومفهومه ، ان الجزائري جزائري قبل ان ينتمي الى أية فئة كانت .. هكذا كان شعار كل جزائري قبل ان تستقل بلاده .. وهكذا ينبغي على كل فلسطيني ان يكون شعاره بأنه فلسطيني اولا وقبل كل شيء .

اللهم هذا الجهد وعليك التوفيق .

٢٥/ ٦/ ١٣٨٥

٢٠/١٠/١٩٦٥

الفهرس

صفحة

صفحة